عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 96 / 16 حزيران 2017

الغوطة الشرقية
عدسة فادي الشامي - خاص عين المدينة

Ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

الافتتاحية

الأسد في غابته

في مشروع دمر بدمشق اختلف سائق التكسي مع الراكب وشقيقته. ولما نزلا للعراك بالأيدي في الشارع وباعد بينهما بعض السكان، عاد السائق إلى سيارته فأخرج قنبلة يدوية رماها على الخصم والشقيقة ومن حولهما ولاذ بالفرار.

وفي حلب، التي يبدو أن مهمة الشرطة العسكرية الروسية فيها قد باءت بفشل ذريع، تكاد الحوادث أن تكون يومية؛ دهس طبيبة أسنان أرمنية بسبب السرعة الزائدة لسيارة «من دون نمرة» تعود لأحد عناصر ميليشيا الدفاع الوطني، مما أدى إلى وفاتها... إطلاق أحد الجيران المتنفذين النار على مجموعة من لاعبي نادي الاتحاد، النادي الأول في المدينة، لأنهم «أغلقوا باب البناء بقوة»... اختطاف فتاة في السادسة عشرة بعد خروجها من صلاة التراويح من قبل مجهولين يستقلون سيارة تكسي «بلا نمرة»... طفل في الثانية عشرة يتسول ثمن الإفطار من المارة في حيّ الموكامبو، ولما طلب مالاً من أحد الشبيحة أخرج الأخير مسدسه وأطلق الرصاص على رأس الفتى فأودى بحياته...

يحدث هذا في المناطق التي تحت سيطرة النظام، حيث يضطر إلى المحافظة على حد من التحكم يبرر له الزعم بأنه «الدولة» التي تحقق الاستقرار والأمان، ولو على طريقة «نحن الدولة ولاك». أما في مناطقنا المحررة فالوضع أدهى وأمرّ، وخصوصاً بعد أن صار النظر إليها كأرض للفصائل والنفوذ والقطاعات أمراً طبيعياً. فلا يكاد ينشأ خلاف بين شخصين إلا ويتحول إلى صدام بين عائلتين أو بلدتين، وهنا من الراجح أن يتحول إلى صراع بين فصيلين، فتتحرك المؤازرات وتهتز القبضات وتكثر التسريبات... فلا أقل من «استئصال» الخصم الذي «صبرنا طويلاً على غلوه أو بغيه أو عمالته أو إفساده في الأرض»... تهم شتى نتبادلها سريعاً ونحن نحرّك الأرتال ونستبيح دماء إخوتنا دون رادع من دين أو خلق أو وطنية أو حس بالمصلحة المشتركة على الأقل!

ولكن كل ما سبق هو من نتاج خيار «الأسد أو نحرق البلد» الذي سلكه الحاكم المجنون ومؤيدوه. فقد كان من شأن انتقال ديمقراطي للسلطة أن يوفر على البلاد هذه الجراحة التي لا تبدو لها نهاية، فلا يضطر المحتجون السلميون إلى حمل السلاح والتجمع في فصائل، ولا يضطر الطاغية إلى الهروب إلى الأمام بإطلاق يد مجرمين متزايدي الرعونة ليدافعوا عنه في وجه الثورة المسلحة، ويطالبوا بالتالي بحصتهم من أرواح الناس.

3 البوكمال من التحرير الأول إلى معالم التحرير الثاني

4 عامر السيد والتصالح مع الذات

7-6 ريان مشعل من الثورة إلى داعش

10 الدين والشوايا

11 المقاتلون الألبان والكوسوفيون في سورية

15-12 حوض البليخ... من الاستقرار المتأخر إلى الاضطراب

16 الدور على قطر.. فمن التالي؟

17 سورية المستقبل بين الكانتونات والمجالس المحلية

البوكمال... من التحرير الأول إلى معالم التحرير الثاني

فراس علاوي

عبر تاريخها الحديث رفدت سوريا بالعديد من رجال الفكر والسياسة؛ من الشاعر شفيق الكمالي إلى الدكتور يوسف زعيم آخر رئيس حكومة عشية انقلاب حافظ الأسد. وهو ما زاد من محنة هذه المدينة وعزلتها إذ عوقبت على مدى عقود، مما جعلها من أوائل المدن المنتفضة ضد النظام.

الدكتور فارس الفارس، أحد ثوار المدينة ومثقفيها، يلخص بصورة موجزة ما حدث في البوكمال خلال سنوات الثورة حتى دخول داعش إليها:

في البداية خرج عشرات الشباب يهتفون للحرية ويطالبون بالإفراج عن أحد المعتقلين، وتجمهر حولهم الأهالي مما أعطى المتظاهرين شرعية. وسرعان ما نزلت الجماهير إلى الساحة حتى وصلنا في نهايات 2011 إلى مظاهرات تجاوزت الـ30 ألف مشارك، فحاصرها النظام وقصفها مما دفع باتجاه تأسيس كتائب الجيش الحر وزيادة وتيرة العمل، حتى وصلنا إلى تحرير البوكمال في 2012/11/17، وتحرير أول مطار في سوريا، هو مطار الحمدان قرب المدينة، بعيد ذلك.

في هذه الأثناء ظهرت جبهة النصرة كفصيل مقاتل بسيط. كانت أعدادهم قليلة ولكنهم سرعان ما استمالوا مجموعات من المقاتلين من فصائل أخرى، حتى كانت بيعة كتائب «جنود الحق» لهم، ما أعطاهم قوة وعدداً. وشكلوا، بالتعاون مع جميع الفصائل، هيئة شرعية. سبقها في الشهر الثامن من عام 2012 تشكيل المجلس المحلي الأول للبوكمال، الذي عمل بجهد وقدم ما يمكنه ضمن حدود إمكانياته. كما نشأت العديد من المنظمات والهيئات المحلية التي كان من أهم نشاطاتها تنظيم العمل المدني ودعم اللاجئين الذين كانت البوكمال إحدى أكبر وجهاتهم من المحافظة ومن خارجها.

بعد زيادة قوة جبهة النصرة، بقيادة فراس السلمان ومحمد ناجي الراوي، سيطرت على كل مفاصل الحياة في البوكمال وقضت على المجلس المحلي. لتعود الجبهة نفسها إلى بيعة تنظيم الدولة في منتصف عام 2014، وتسلم المدينة بالكامل للتنظيم الذي عجز عن احتلالها قبل ذلك.

البوكمال بالنسبة لداعش

تشغل المدينة موقعاً استراتيجياً هاماً، باعتبارها الممر الأساسي الذي يربط العراق بسوريا ويعطي التنظيم سهولة الحركة والتنقل براً ونقل آلياته العسكرية وكذلك تنقل مقاتليه ذهاباً وإياباً بين البلدين، خاصة إذا اعتبرنا أن قوة التنظيم البشرية هي في العراق، ما يجعل المدينة معبراً لا يمكن لداعش أن تستغني عنه بسهولة.

وتعطي جغرافية المدينة وجوارها للدواعش قدرة على التنقل والمناورة، بما يوفره نهر الفرات بامتداده عبر واد تحيط به التلال التي قد تشكل ملاذاً آمناً لعربات التنظيم وعناصره من الطيران، فضلاً عن وقوع البوكمال بين باديتي الشامية والجزيرة وقربها من مواقع صحراوية هامة مثل محطة الكم أو T2. وكذلك تنبع الأهمية الكبرى التي تتمتع بها البوكمال من آبار نفط الحقول القريبة؛ التنك في الجزيرة والورد في الشامية. وكلا الحقلين، وخاصة الأول، قدما لداعش موارد مالية هائلة.

ومثل أي مكان آخر تحت سيطرة داعش غابت المدينة عن الإعلام الا بما يتمكن ناشطون من تسريبه على وسائل التواصل الاجتماعي. وتسارعت التسريبات الإخبارية مؤخراً مع الحديث عن قرب تحريرها على يد فصائل الجيش الحر التي يتحدر أغلب مقاتليها من دير الزور، مثل أسود الشرقية ومغاوير الثورة، والتي اتخذت البادية منطلقاً لعملياتها وحررت مساحات شاسعة منها مقتربة من المدينة، وهي تضع البوكمال نصب عينيها بعدّها أول أهداف التحرير في المحافظة.

وقد صارت البادية، مع التدخل الأميركي المباشر، مسرحاً لمواجهات متكررة مع النظام وحلفائه التابعين لإيران، في محاولاتهم التقدم نحو بوابة التنف الحدودية، ما قوبل برفض أمريكي قاطع، لحماية قاعدتهم المنشأة حديثاً وحلفائهم من فصائل الجيش الحر. وكانت الحصيلة حتى الآن هجومين لطائرات التحالف على قافلتين عسكريتين للنظام وحلفائه حاولتا التقدم نحو التنف لاستكمال المشروع الإيراني بربط مناطق نفوذه برياً من لبنان إلى سورية إلى العراق حيث يسيطر ما يعرف بالحشد الشعبي.

يقول المقدم مهند الطلاع، قائد مغاوير الثورة، لـ«عين المدينة»: «البوكمال هدفنا القادم، فهي نقطة الانطلاق لتحرير دير الزور، والسيطرة عليها تضعف ارتباط داعش بالعراق وبحاضنتها، وبالتالي تقطع طريقاً أساسياً ومعبراً رئيسياً تستخدمه لنقل القوى والوسائط والمناورة، وسنحرمها من هذه الميزة». وإذا حاول الحشد دخول الأراضي السورية، يضيف الطلاع: سنعامله كعدو كما نعامل داعش، ولن نسمح له.

عامر السيد.. والتصالح مع الذات

نشوان الصالح

عامر السيد مشيراً بإصبعه - من إصدارات داعش

لسنوات وأنا أكره علم العروض. لم ألق باللائمة في ذلك على مدرّس اللغة العربية في الصف العاشر، عامر السيد، وبقيت أكنّ له احتراماً ليسَ مبنياً على جودة رأيه وحسن معشره، الخصلتان اللتان لم ألاحظهما حين كان مدرّسي في ثانوية علي إبراهيم، وإنما على دعاية اجتماعية فرضتها علاقته ببعض الأقارب والمعارف من بقايا المتمردين على الأسد في الثمانينات من تنظيم «الطليعة المقاتلة»، حتى رأيته يتجاوز طابور الخبز وكأن له امتيازاً على الناس بصفته مدرس القرآن لأبنائهم. وهنا كان لا بد من مراجعة هذه الشخصية والعلاقات الاجتماعية والتركة البائسة للطليعة المقاتلة، الأمر الذي احتاج عقداً من الزمن، وثورة، ومئات الآلاف من الشهداء.

هرب عامر السيّد -كغيره من مشايخ المعارضة الهاربين إلى مناطق النظام- إلى الحسكة مع الطلقات الأولى لعمليات التحرير التي أطلقها الجيش الحر في دير الزور في حزيران 2012. وعمل هناك مع «أحمد طعمة» في حملة الإغاثة المسماة «كلنا للشام» الممولة قطَرياً، عملاً مأجوراً، ثم عاد إلى ريف دير الزور صيف 2013، ليدخل المدينة في الخريف، الفترة الذهبية للثورة هناك.

«الحمد لله» هي الإجابة المتوقعة لسؤال «شلونك؟»، لكن السيد استبدلها بـ«والله بهالجهاد» بعد أيام قليلة من دخوله المدينة، في محاولة لإضفاء طابع التميز والسبق على نفسه بخلافنا نحن العوام السُذّج. ثم أصبح شرعياً في حركة أحرار الشام التي حاصرت أحياء الجورة والقصور بعلمه، إن لم يكن بفتوى منه. وفي محاولة تذلل منه لجبهة النصرة أدخل ابنه فيها (قُتل لاحقاً بمعارك الجبهة في مطار أبو ظهور)، وحابى تجبرها بكل الفتاوى السلطانية. فبعد أن خطفت الجبهة سبعة ثوار كانوا من القائمين على مظاهرات تدعو إلى توحيد الجيش الحر، يقول الدكتور أنس فتيح: «حينها خرجت مظاهرات احتجاجية، فقال عامر السيد عنها إنها مشبوهة وإنه يرجح أن تكون ممولة. وعندما رد عليه أحدهم أن في المظاهرة فلاناً وفلاناً، وهم معروفون بمواقفهم، قال عامر بالحرف: «ستبدي لك الأيام ما كنت تجهله».

برغم الجبهة وهيئتها الشرعية خرج المخطوفون تحت الضغط الشعبي. وهنا تأتي شهادة معاذ الناصر، أحد هؤلاء المخطوفين: «بعد خروجنا، وذهابنا عدة مرات للهيئة لاسترداد أغراضنا المنهوبة، جلس عامر السيد معنا على أساس جلسات نصح، وكان يدافع عن الجبهة والهيئة، وكان يعتبر داعش لا يفقهون شيئاً في الدين».

وبينما كان السيد يردد جملته: «ابتلي الإسلام باثنين لصقوا اسمهم باسمه، الجمهورية الإسلامية وحزب الله، وجاءت ثالثة الأثافي، الخلافة الإسلامية»؛ دخل التنظيم المدينة وفرض سيطرته على المحافظة في تموز 2014، فما لبث السيد أن أماط القناع عن وجهه في اجتماع جامع حرويل، والذي عقده التنظيم لموضوع التعليم بحضور أكثر من 50 مدرساً بينهم أساتذة كبار وأعضاء المكتب التربوي في المجلس المحلي الذين حاججوا أبو المنذر المصري (أمير ديوان التعليم حينها) الذي كان قد اقتنع لولا تدخل السيد قائلاً: «الشيخ يتكلم في وادٍ وأنتم تفهمون في وادٍ آخر! هذه المناهج زُبالة، وعلينا أسلمتها قبل افتتاح المدارس». فزاود على الجميع وكفّر المكتب التربوي الذي يرتبط بالحكومة المؤقتة «الكافرة» على حد زعمه (الحكومة التي يرأسها أحمد طعمة ذاته مدير حملة كلنا للشام!!). يقول محمود إبراهيم، مدير هذا المكتب آنذاك: «وشى بنا طمعاً أن يشغل منصبنا الذي لا يساوي أمام الله والتاريخ نقطة دم تراق بباطل. لقد تسبب في هروبي من المدينة أنا وكثير من المدرّسين، وفي قطع أرزاق آخرين ممن وشى بهم، وفي إعدام كثيرين، ولديّ أسماء من تسبب في استشهادهم».

أدخل السيد ابنه الثاني في صفوف داعش، وقُتل أيضاً في معارك الجبل بدير الزور. أما هو فالتحق بالدورة الشرعية لاستتابة المعلمين علّه يحظى بمنصب ما، لكن التنظيم اعتقله بتهمة أنه كان شرعياً في أحرار الشام، الأمر الذي لو شهد عليه أبناء دير الزور لقُطع رأسه. وخرج وهو يسبّ التنظيم في الخفاء، حتى رأيناه في إصدار «لبوا النداء» مبايعاً، ليعيّن أميراً في المكتب الدعوي، أخطر المكاتب على الشباب والأطفال.

كل هذا في السياق الطبيعي لأستاذ اللغة العربية الذي كان يرفض تدريس محور المرأة في مقرّر الثانوية العامة، فبيعته تصالح عامر السيد مع ذاته، على عكس تناقض المدافعين عنه من الثوار والناشطين -القاطنين في «بلاد الكفر»- بذرائع مختلفة، فبعضهم اعتبره المعلم والعرّاب وحامل العلم الشرعي، وبعضهم رأى أنه «سلك طريق الجهاد»!!. وكأنما يعتمل في دواخل هؤلاء داعشيٌّ صغير يطلّ كلما اقتربنا من رجل دين، وكأن التنظيم لم يكفرنا ويشردنا جميعاً، ولم يقتل إخوةً لنا بعضهم لم نعرف قبورهم بعد!

«نحنا الجزر»

مصطفى أبو شمس

منذ أن اعتمد النشيد الوطني السوري «حماة الديار»، سنة 1938، لم يتغير إلا في مناسبتين؛ الأولى أيام الوحدة مع مصر حين استبدل به «نشيد الحرية»، والثانية عندما سحبت أغنية «نحنا الجزر» البساط من تحته خلال الثورة في حي الصاخور بمدينة حلب!

رُفض لحن حماة الديار في البداية، ولكن سرعة انتشاره جعلت القائمين على الحكومة مضطرين إلى اعتماده كنشيد وطني للجمهورية السورية. ومنذ ذلك الوقت ارتبط بالاحتفالات الرسمية، خاصة خلال تحية العلم في المدارس كلازمة تقال يومي السبت والخميس من كل أسبوع. فكان «كالأمر الواقع»، كما يقول المهندس أحمد العلي الذي عبّر عن فقدان النشيد حالة القشعريرة التي كان يشعر بها في صغره عند سماع لحنه، بعد أن تحول منذ بداية الثورة إلى «لوغو» لجيش يقتل الأطفال والنساء، وبات سماعه مرتبطاً «بحالة من القهر لا الفخر».

وبسبب الفتاوى الكثيرة بتحريم الغناء شقت الأناشيد الجهادية طريقها لتجد لها مكاناً في إصدارات الحركات الإسلامية، وأصبحت جزءاً من مشروعها، وطريقة لنشر أفكارها وتجنيد مقاتلين جدد في صفوفها نظراً لانتشارها السريع. فغدت تلك الأناشيد، منذ ثمانينيات القرن الماضي، إحدى طرق الدعوة الجهادية المؤثرة.

بعيداً عن النشيد الوطني والأغاني الجهادية عرفت أغنية «نحنا الجزر» انتشاراً خاصاً بين السوريين، موالين ومعارضين، وباتت حديث صفحاتهم على فيسبوك، وتعدى الأمر إلى دندنتها وتحميلها والتغني بها.

على محمل الجدّ كان رجال كتيبة أحفاد المرسلين، التابعة لحسن جزرة كجزء من كتائب غرباء الشام، يبدؤون سهراتهم وأعراسهم، وحتى قتالهم على الجبهات وهم على شفير الموت، بأغنية «نحنا الجزر» التي باتت سمة لقائدهم الذي حولوه إلى أسطورة. وعلى الرغم من السمعة السيئة التي لاحقت الرجل إلا أنك، وعن غير قصد، تطلق العنان لأغنيته مبتسماً حين تراه أو تذكره. يقول الناشط حسين محمد: «على جبهته في حي الصاخور استقبلنا حسن جزرة يومها تاركاً لرفاقه مهمة الغناء والدبكة على نشيد كتيبته الخاص. الجميع كانوا سعداء. كان الرصاص من جبهة سليمان الحلبي كالمطر، لكن هذا لم يمنع المقاتلين من الترحيب بنا على طريقتهم الخاصة. بدت القصة أشبه بالنشيد الوطني. وعند وصولهم إلى مقطع «جزرات نحنا يا حسن ورجالك/ فداك هي الروح لو تحلالك» حمل كل منهم سلاحه وتوجه إلى موقعه وسط ضحكاتنا».

السخرية التي طالت هذه الأغنية التي ألفها أحد أتباع جزرة، من قبل الموالين والكثير من أبناء الثورة، جعلتها عالقة في الذهن كذكرى طريفة في كثير من الأحيان، و«حنين لأيام الثورة الجميلة» كما يقول سعيد، أحد المقاتلين السابقين في غرباء الشام، ليتحول جزرة إلى أسطورة شعبية من خلال «فطرته ونخوته»، رغم الاعتراضات الكثيرة التي لاحقته وأفراد كتيبته طيلة فترة حمله السلاح على إحدى أهم جبهات مدينة حلب (سليمان الحلبي والصاخور) على أنه أكبر «المشوّلين»، الأمر الذي أدى إلى اعتقاله وقتله من قبل تنظيم الدولة.

نحنا الجزر حسن جزرة ربانا
جزرات نحنا والموت أبد ما نهابه
نمشي دروب الموت متل ديابه
جزرات نحنا يا حسن ورجالك
نمشي دروب الخطر كرمالك
جزرات نحنا واسمنا ما يعيب
واللي ما عرفنا يجي ويجرب
أحرار نحنا ومن أهالي الصاخور
رح نجيبك مهما تلف ومهما تدور
لا يا أسد لا تفتخر بحالك
لا تفتخر نحنا الراس لأمثالك

لا ما يشيل الراس من عادانا
لونك تجيب المدفع ودبابه
نحصر عدونا ونحطهم بمطارا
فداك هي الروح لو تحلالك
ننحر عدونا بسيوفنا البتارة
تشهد أراضي المعركة يا حبيب
لنعلّمه شلون الألم وسرارا
نتحدى بشاريا ابن الصرصور
ونقطعك والله عالفرامة
حمار أنت ومعروفات فعالك
نبقى أحرار ومرفوعين الجاما

سهلت المفردات العامية التي تألفت منها هذه الأغنية انتشارها وحفظها، وترافق ذلك مع الشعور بالفخر والانتماء عند أبناء هذه الطبقة المهمّشة التي لم تكن تلقي بالاً للكلمات الرنانة وتعتمد في موسيقاها على الموالات التي كانت لا تخلو من ذكر أبو جراح (حسن جزرة)، لتنطلق بعدها مئات العيارات النارية كتحية من الجنود لقائدهم، ثم تبدأ وصلة خاصة لأغنية «نحنا الجزر» التي حفظت عن ظهر قلب وصارت تتقاسم مع أغنية «غرباء»، الأغنية الرسمية للكتائب، التشغيل في سيارات المجموعة، بحسب سعيد الذي قال إنه في أي اجتماع كان يحضره حسن جزرة كان جميع القادة يذكرون جزءاً من أغنيته ويتبادلون معه الابتسام.

ريّان مشعل... من الثورة إلى داعش!

محمد سرحيل

براء كادك، أو من يعرف بـ«ريّان مشعل»، أحد أشهر إعلاميي داعش، شخصية غريبة ذاع خبر مقتلها قبل أسبوعين. من هو ريّان؟ كيف انشق هذا «الشاب اللطيف» عن الثورة ليلتحق بتنظيم لا يقل إجراماً عن نظام وحشيّ يفترض أنه ثار لتغييره؟!

ينحدر براء من أسرة سورية محافظة من مدينة الباب بريف حلب، مؤلفة من خمسة شباب وثلاث فتيات. ولد في السعودية حيث كان يعمل والده مدرساً، ثم عاد إلى سورية. درس في كلية الآداب بجامعة حلب وتخرّج في قسم الأدب الإنكليزي، ثم صار مدرساً في معهد للغات في حي الفرقان بحلب.

في حضن الثورة

تعرّفت إلى ريّان في الأشهر الأولى للثورة عام 2011، عبر حسابات مستعارة على فيسبوك، وتعاونا على نشر الأخبار في الصفحة التي أنشأها باسم «الثورة الحلبية الكبرى». وتعززت علاقتي به في ما بعد، وتعرفت إليه بشكل شخصي.

تميّز بنشاطه واجتهاده وإتقانه. هادئ قليل الكلام. جاد في التعامل. كان يحمل في داخله قضيّة وهدفاً يسعى إلى تحقيقهما. شارك في بعض الأعمال الثورية في مدينة حلب، إلا أنه صرف معظم نشاطه إلى العمل الإعلامي الذي كان يتقنه جيداً ومبكراً، قبل انتشار الدورات ومجيء الخبرات. لا زلت أذكر التقرير الذي أعده وسجّله بصوته عن «تأخر حراك حلب»، والذي أُعجب به بشدة القائمون على قناة أورينت يومها. أكثر ما برع به ريّان في مدينة حلب كان تصوير شبيحة الجامعة ونشر انتهاكاتهم في حق المتظاهرين.

ظروف التحاقه بداعش

حين أعلن الثوار بدء رد عدوان داعش واستئصالها من حلب، مطلع 2014، جاء أحد أصدقاء ريّان ليصحبه إلى مدينة الباب التي سيطر عليها التنظيم. حزم مشعل أمتعته فعلم والده وحاول منعه دون جدوى، فاضطر الأب إلى اللحاق به إلى الشارع والتلفظ بعبارة «الله يغضب عليك» على مرأى ومسمع الناس. بعد وصوله إلى الباب قطع كل علاقاته بالثوار إلا من كانوا حملة اللوثة الداعشية، الذين تمكّن من إغراء واستدراج بعضهم، وكان من أبرزهم أبو عقبة الحلبي.

السؤال الذي نحاول الإجابة عنه هنا هو كيف انزلق هذا الشاب المثقف اللطيف في أحضان التنظيم المتوحّش!

1- غموض وأنانية

اتصف ريّان بالانطوائية نوعاً ما، حتى بين إخوته. يكتنفه نوع من الغموض والهدوء الذي يصعب فهمه أحياناً. يتوجّس من الآخر بشكل زائد رغم سعيه إلى تحصيل المكاسب منه، لكنه يحب الأخذ دون عطاء. في دورة إعلامية حضرناها سوية، مع عدد من الصحفيين والناشطين في تركيا، كان ريّان الشخصَ الوحيد الذي رفض إعطاء اسمه للمنظمة الأجنبية التي نظّمت الدورة، رغم حصوله على معدّات ومبلغ مالي منها!

2- غرور وتكبّر

كان ريّان شديد الأنانية والإعجاب بنفسه. يحب الظهور ويسعى إلى وضع بصمته في أي عمل يقوم به. في الأشهر الأولى من الثورة حرص على وضع لوغو الصفحات أو الجهات التي يعمل باسمها على فيديوهات المظاهرات وغيرها، مما أدى إلى عدم نشرها على كثير من القنوات التي رفضت ذلك. لم يكن يقبل الانضمام إلى أي صفحة إعلامية تعنى بثورة حلب وأخبارها بسهولة. يُؤثر العمل الفردي على العمل الجماعي. وقد باءت جهود توحيد العمل الإعلامي في حلب بالفشل لعدة أسباب كان ريّان أحدها. لا زلت أذكر جولته الإعلامية الشهيرة في ريف حلب الجنوبي، وقد أرسلها لي للعرض على شاشة قناة عملت بها، واختصرت بعض اللقطات التي أظهر نفسه فيها بتكلّف غير مقبول، فكان ذلك سبباً رئيساً لابتعاده عني وتردي علاقة العمل بيننا.

3- تمايز واستعلاء

في دورة إعلامية حضرتُها في تركيا أيضاً كان موجوداً، بالإضافة إلى عدد من إعلاميي حلب وغيرها من المدن السورية، وكان بينهم بعض من يصفون أنفسهم بالملحدين، وفيهم بعض أكراد الحسكة وغيرهم. لم يجالس ريّان أحداً. كان ينظر إلى الآخرين باستعلاء، ويفرض بينه وبينهم حواجز وعقبات. تجنب حضور النقاشات والسهرات التي أثمرت في تقريب وجهات النظر وكسر الجليد بين الكرد والعرب مثلاً. في إحدى المرات، وبعد ضغوط ومحاولات للصلح، رضي بالجلوس مع إعلاميي حلب، وكان اعتراضه على بعضهم أنهم متحاملون على «الإسلاميين»، وأشار بوضوح إلى جبهة النصرة (كان ذلك قبل ظهور داعش واقتسام تركة النصرة بين البغدادي والجولاني).

4- قسوة وشدّة

يقول طالب سواس، وهو أحد من أقاموا مع ريّان في المكتب الإعلامي الذي اتخذه في المنطقة الصناعية بحلب: كانت علامات قسوة القلب تبدو في مواقفه، فهو يؤيد العنف مع الخصوم ويستهجن الشفقة والتسامح. ومن أراد الدليل فليراجع حلقة «الجيش السوري» من برنامج «ثورة 3 نجوم»، إذ اختلف ريّان مع الإعلامي عبد الوهاب الملا المتسامح مع جنود الأسد المغلوب على أمرهم. فكان عبد الوهاب يعترض على ذبحهم وريّان يخالفه، حتى خاطبه الملا متعجباً: إذا قلنا أمسكوا العسكري وتعاملوا معه

بإنسانية فيها خلل شرعي؟!!

يضيف سواس: كان ريّان يعلم بطش التنظيم جيداً، وقد سمعته يقول لأحدهم: «عبتلعب بالنار»، لأنه ينتقد سلوكيات التنظيم، محذراً إياه من الاعتقال!

5- ضعف في العلوم الشرعية

جهل ريّان بالعلوم الشرعية، بالترافق مع عاطفته الدينية، كان من عوامل انسياقه وراء التنظيم الذي أغرى الكثيرين من أمثاله بشعارات برّاقة. ولم يكن هذا بجديد عليه، فقد افتُتن من قبل بمحمود قول أغاسي، المعروف بـ«أبو القعقاع»، وكان من المواظبين على دروسه في جامع العلاء بن الحضرمي في حيّ الصاخور.

في بداية طفو داعش على السطح علمت أنه بات من المعجبين بالتنظيم، وأن أمنيي داعش صاروا يتردّدون إلى مقر عمله في شبكة حلب نيوز بالمنطقة الصناعية، كما علمت أنه تلقى نحو 10 آلاف دولار من التنظيم بهدف تسويقه إعلامياً. توجهت من تركيا إلى حلب واتصلت به لنلتقي ونتحدث حول «الدولة الإسلامية في العراق والشام»، فاشترط ألا أناقشه بمفرده، طالباً الاستعانة بـ«الإخوة». وصل اثنان مسلّحان ملثّمان وطلبا مناقشتي من وجهة نظر شرعية لأني أحمل الليسانس في الشريعة. قبلتُ بشرط نزع سلاحيهما ولثاميهما لكنهما لم يلتزما. كان ريّان هادئاً، أصغى بصمت تام للحديث دون أن يشارك!

بعد نقاش طويل لم نتوصّل إلى نتيجة، فصاحبا ريّان -تبين أنهما من الأمنيين رغم أن أحدهما كان قادماً من تنسيقية تُحسب على العلمانيين- لا يجيدان سوى سرد بعض الآيات والأحاديث، دون تمييز النصوص القرآنية العامة التي خصصتها آيات أخرى، وكذلك لا يدركان الفرق بين المطلق والمقيّد كما هو معلوم في أصول الفقه. انتهى النقاش بقول أحدهما: «يجوز لنا أن نقيم دولة إسلاميّة من خمسة أشخاص على سفح جبل، نبايع فيها أحدنا كخليفة. المهم أن نقيم الشريعة». خرجتُ بعدها، وأشاع ريّان أنني عجزت عن إيراد الأدلة أمام خصومي!

6- لصوص الثورة

يُرجع البعض سبب التحاق ريّان بداعش إلى ممارسات بعض المجرمين المتستّرين بعباءة الجيش الحر. نعم، أذكر أنه أنشأ صفحة لنشر تجاوزات كتائب وعناصر الحر. ولكن كيف سكت عن إخوته في التنظيم الذين خطفوا صديقهم وصديقه الإعلامي «عمار الحلبي» وسلبوه ماله وسيارته ومعدّاته ثم أفرجوا عنه بعد إمهاله 24 ساعة لمغادرة سورية؟ كيف سكت عن خطف زملائه الصحفيين؟ كيف سكت عن سرقات كان شاهداً عليها؟ كيف سكت عن مجزرة مشفى العيون؟ كيف سكت عن سرقة الأملاك العامة؟ كيف سكت عن فديات خطف الصحفيين الأجانب؟ كيف سكت عن سرقة ثورة دفع السوريون لأجلها الغالي والنفيس؟ كيف سكت وبايع تنظيماً كان شاهداً على ظلمه بنفسه... كيف وكيف وكيف؟

تأسيس «أعماق»

استطاع التنظيم أن يسخّر ريّان لخدمته، وفي الوقت نفسه أعطاه ما عجزت الثورة عن تحقيقه له، إذ عيّنه أستاذاً للغة الإنكليزية في جامعة منبج التي استولى عليها بعد سيطرته على المدينة، كما سخّر له المال والمعدّات ومنحه هامشاً ما من الحرية. إذ كان ريّان يدرك من خبرته السابقة أن الوصول إلى القنوات والفضاء الإلكتروني لا بد له من نافذة إعلامية تدّعي المهنية وتراعي أبسط القواعد، كحذف مشاهد العنف المفرط وتسمية القوى والفصائل بأسمائها بعيداً عن الأوصاف التي يطلقها التنظيم على خصومه، وهكذا جاءت مساهمة ريّان الكبيرة في تأسيس «وكالة أعماق» الذراع الإعلامي الأبرز لتنظيم داعش.

ملابسات مقتله

في 31 أيار 2017 أعلن حذيفة، الأخ الأصغر لريّان، على صفحته في فيسبوك، مصرع شقيقه إثر غارة للتحالف. والحقيقة أن النبأ جاء متأخراً عن الحادثة أربعة أيام تقريباً، فقد قتل ريّان بغارة أعقبت وصوله إلى منزله الجديد في مدينة الميادين بمحافظة دير الزور، بعد أن طلب منه التنظيم مغادرة مكتبه في الرقة قائلين: «نريدك معنا، سنحتاجك كثيراً هناك»! وهنا تجدر الإشارة إلى أن التنظيم منع شريك ريّان في المكتب من المغادرة معه. لم تمض دقائق قليلة على وصوله إلى سكنه الجديد حتى تعرض المبنى لقصف صاروخي من طيران التحالف أدّى إلى مقتله على الفور مع طفلته الصغيرة، فيما أصيبت زوجته إصابات بليغة أدت إلى شللها.

رحل ريّان وسط صمتٍ مطبقٍ من التنظيم الذي لم يكلّف نفسه حتى نعيه، وهو من سخّر كل إمكاناته وخبراته في خدمته.

قتل ريّان بينما استشهد اثنان من أشقائه على جبهات القتال ضد تنظيم كان أخوهما من أبرز أعمدته إعلامياً!

لن أترحّم على ريّان مشعل. لا شك أن ربه أعلم بصنيعه وإلى جانب من وقف، إلا أنني لم ولن أُظهر الشماتة به، بل أقول كما كان يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **اللهم إن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون**. فمن منا يأمن على نفسه فتنة استعاذ منها خير الخلق رسول الله!

ريان مشعل (الأول من اليمين) في دورة تدريبية للإعلاميين في عنتاب مطلع 2013 - من أرشيف المؤلف

قرية دير حسان تتحدى الصعاب

أبو محمد الإدلبي

تعرضت أرياف إدلب لأوضاع معيشية صعبة خلال السنوات المنصرمة، افتقدت فيها أبسط ضروريات الحياة من ماء وكهرباء، وعانت من غلاء أسعار المواد الغذائية وغير الغذائية، بالإضافة إلى غارات طيران النظام وروسيا التي طالت أغلب القرى والبلدات. ومن هذه القرى قرية دير حسان في ريف إدلب الشمالي، قرب معبر باب الهوى.

هي قرية صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها ثمانية آلاف نسمة، بالإضافة إلى عشرات العائلات النازحة من ريفي حمص وحماة. يعتمد أهلها بشكل رئيسي على الزراعة وعلى الوظائف الحكومية، ولذلك تتصف غالبيتهم بالفقر الشديد، كحال معظم قرى إدلب.

منذ حوالي العامين دخل برنامج «تمكين» القرية، فدعم بناء مستوصف ومنهل ماء، وتعبيد جزء كبير من شوارع القرية، وبناء صفوف جديدة في المدرسة لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب والطالبات. لكن المشكلة الأساسية التي كانت ترهق السكان هي مشكلة مياه الشرب، بسبب الأعطال الكبيرة في شبكة المياه والتي يكلف إصلاحها مبالغ كبيرة لم يكن المجلس المحلي قادراً على تحصيلها. لكن المجلس لم يستكن، فنشط أعضاؤه في العمل الشاق والنظيف وبتفانٍ منقطع النظير، وهذا ليس غريباً على قرية كان عدد خريجي الجامعات فيها أكثر من 200 قبل الثورة، من مختلف الاختصاصات. وأثمرت جهودهم بدخول منظمة يداً بيد Hand In Hand إلى القرية، وقدمت الدعم المالي لشركة «البيان للمقاولات» لتنفيذ مشروع إصلاح الشبكة الذي استمر ستين يوماً قامت خلالها الشركة بإصلاح وترميم وتوسيع وتأهيل حوالي ثمانية آلاف متر، بتكلفة بلغت 135 ألف دولار أميركي، ومنذ أيام تمت تجربة ضخ المياه بنجاح كبير. وسيقوم المجلس المحلي بجباية مبالغ شهرية رمزية من المنازل المشتركة على خط المياه، وستسهم هذه الجباية في الإنفاق على نشاطات المجلس.

أما في مجال الرعاية الطبية فقد كان عمل المجلس بارزاً من خلال المستوصف الذي تديره لجنة طبية بإشراف الدكتور محمد منصور، ويعمل فيه عدد من الطبيبات والممرضين والممرضات، وقدم لقاحات للأطفال ولقاحات ضد الكزاز، وأدوية لمرضى الضغط والسكري، كما يقدم الإسعافات الأولية البسيطة، وتتم فيه معاينة المرضى وتقديم الأدوية لهم، وكل ذلك مجاناً. وقد أسهمت «مؤسسة شام» وجمعية «عطاء» في تقديم الخدمات الطبية والرعاية الأولية، وفي التبرع بالأدوية للمستوصف. كما قامت اللجنة الطبية بتدريب الشباب على أساسيات التمريض عبر دورات بلغ عددها ثلاثاً حتى الآن.

ويجري الآن بناء ملعب عشبي لكرة القدم بالشراكة مع أحد الأشخاص وفق نسبة من الأرباح متفق عليها. وسيؤدي بناء هذا الملعب دوراً هاماً في خدمة شباب القرية الذين كانوا يذهبون إلى القرى المجاورة للعب الكرة، مع ما يكلفهم ذلك من مبالغ للمواصلات، كما سيؤدي بناؤه إلى تنشيط الرياضة وتنمية المواهب وتغيير في الحالة النفسية لهم، وهذا شيء مهم جداً من أجل متابعة الحياة الطبيعية البعيدة عن أجواء الموت والدمار.

وفي مجال الأمية دعا المجلس لحضور دورة محو أمية لمن هم دون الخمسين، وستتبعها دورة تعليم لهم.

ومن الأمور المهمة قيام منظمة «خير» بتقديم المساعدات المادية لشراء الأدوية الزراعية والسماد للفقراء من المزارعين، ومساعدة مادية أخرى لمربي الحيوانات لشراء الأعلاف، مما يشجع على الاهتمام بتوسيع الثروة الحيوانية.

أما المشروع الكبير فهو بناء مشفى ضخم في القرية بتمويل من المنظمات الطبية، وقد أنجز بناء الطابق الأول منه ويتم حالياً بناء الطابق الثاني.

قامت هذه النشاطات والجهود الجبارة على أكتاف الشباب المثقف من أهل القرية الذي تجاوز العديد من الصعاب، وبرهن أن المجتمع الحر والعادل جدير بهذا الشعب العظيم الذي حاول النظام المجرم أن يدمره ويبعده عن الاهتمام بالشأن العام، لكن إرادة المقاومة والتحدي كانت أقوى من مقصد النظام المتخلف، وسيكون المستقبل أفضل بكثير إن شاء الله.

لقمة العيش في قطف الشوك

مريم أحمد

حلا جعام (8 سنوات) ونور خباص (9 سنوات) من مدينة قلعة المضيق. خرجتا إلى أطراف المدينة لجمع ثمار الشفلّح (القبّار). حملتا الأكياس وانطلقتا للبحث عن الشجيرات. في منتصف النهار، ومع اشتداد الحرارة، اقتربت الطفلتان من بركة للمياه في محاولة لتبريد وجهيهما المتعرقين. لم تدركا أن قاع البركة طيني. غرقت الطفلتان وبقي ما جمعتاه من ثمار الشفلّح في كيسيهما على طرف البركة.

يصل طول شجيرة الشفلح إلى ما يقارب الـ50 سنتيمتراً. لها أغصان كثيرة، وتمتد على الأرض. يكثر وجودها في الجبال والأراضي الزراعية. تعد الآن مصدر رزق كثير من عوائل المناطق المحررة، وبخاصة سكان ريفي حماة وإدلب، بالرغم من مخاطر وصعوبة قطفها؛ فأشواكها قاسية تدمي اليدين، وأوراقها الكثيفة وأغصانها المتشابكة ملاذ مفضل للأفاعي في فصل الصيف الحار. تعرف بفوائدها الطبية واستخدامها في الأطعمة في أوربا، ولذلك أصبحت تدر دخلاً بسيطاً للكثير من الأسر الفقيرة، بعد أن تضاعفت البطالة وارتفعت الأسعار وضاقت أحوال الناس.

تستخدم ثمار النبتة في علاج كثير من الأمراض، مثل البلغم وارتفاع سكر الدم والروماتيزم والديسك. ويستخدمها المعالجون بالأعشاب بكثرة، فالبعض يطحن الأوراق ويمزجها مع زيت الزيتون ويستخدمها للسعال، وآخرون يصنعون منها خلطات توضع على الظهر لآلام الديسك، كما تستخدم لعلاج المشاكل الجلدية وألم المعدة وفاتحاً للشهية ومدراً للبول، وتدخل في الصناعات الطبية والتجميلية. وتستخدم أوراقها وبذورها كمنكهات طبيعية في البيتزا والخبز والسلطات والمخللات، وتستهلك بكثرة في الدول الأوربية لأغراض التغذية هناك. وهذا ما يفسر ارتفاع سعرها مقارنة بالأعشاب البرية الأخرى، إذ يصل سعر الكيلوغرام الواحد من ثمارها إلى 3 دولارات، ويستطيع الشخص الواحد أن يجني يومياً بين الـ2 و3 كغ، مما يجعل من العمل في جمعها مصدر دخل جيد في بلد أهلكته الحرب ولا يتعدى متوسط دخل الفرد فيه الـ2 دولار يومياً.

أم مصطفى (43 عاماً) نازحة من ريف حماة إلى ريف إدلب الجنوبي، بعد أن فقدت زوجها في قصف الطيران لبلدتهم، تجد من قطاف الشفلح حلاً مؤقتاً يساعدها على شراء بعض الضروريات. قالت: «بطلع من بكير قبل الضو، وبرجع بعد الضهر. كل يوم بجمع 2 كغ. بطريق الرجعة ببيع الشفلح لتجار بالضيعة، وبشتري بحقهن ربطة خبز وشوية خضرة للولاد. بالصيف، وخلال 3 شهور، هيك شغلنا. من تلات سنوات وأنا بشتغل بهالشغلة، فما بهتم بالمصروف. بس بالشتوية كتير الأمر بيصير صعب عليّ لأنه ما عندي شغل».

أبو عبدو (50 عاماً) من أهالي ريف إدلب الجنوبي، يملك سيارة صغيرة ينقل بها جامعي الشفلح إلى أماكن بعيدة حيث يوجد بكثرة، مقابل نسبة مما يقطفونه. قال لنا وهو يمسح عرق جبينه: «بجمع الولاد والنسوان بعد صلاة الصبح وباخذهم بالسيارة على مناطق محددة بجبل الزاوية أنا بعرفها منيح. هناك الشفلح كتير، فالشخص الواحد بيجمع ضعف اللي بيجمعه هون على أطراف الضيعة. بشتغل بهالشغلة من 4 سنوات، وصرت بعرف منيح وين بتنوجد هالنبتة بكثافة».

في كل بلدة وقرية هناك تجار يشترون هذه البذور، لتجمع وتنقل إلى تاجر أكبر يقوم بحفظها ونقلها إلى اللاذقية ودمشق وحلب حيث تجهز للتصدير. علي الخالد (50 عاماً) من ريف إدلب الجنوبي، يعمل في تجارة الشفلح منذ عشرين سنة، قال: «نشتري الشفلح من التجار يللي بيجمعوه من الناس، فنضعه في أوعية كبيرة ونضيف إليه الماء والملح لحفظه، ثم نرسله إلى اللاذقية ليشحن إلى دول أوربا. بعضه بيستهلك محلياً، بيشتريه العطارين والمعالجين الشعبيين، لكن الكمية الأكبر بتروح على أوربا. أسعاره انخفضت مؤخراً بسبب كثر الكميات المطروحة بالسوق وزيادة عدد العاملين بالجمع نتيجة انعدام فرص العمل».

«إش بدنا نعمل... صعب كتير جمع الشفلح، فيه شوك كتير. أول مرة قطفتو طلع دم كتير من إيديّ، تجرحوا كتير، وجعوني وصرت أبكي. بس شوي شوي تعودت»؛ هذا ما قالته الطفلة إيمان وهي تنظر إلى كف يدها اليسرى وتحمل باليمنى كيساً يحوي بذور الشفلح التي جمعتها وتنتظر أمام محل المشتري لتبيع ما جمعت.

الدين والشوايا

علي خطاب

هبت، منذ أيام، عاصفة قادمة من ألمانيا. سببها تعليق أحد اللاجئين السوريين هناك على فيديو للشيخ حسان الدباغ يتكلم فيه عن طريقة ذبح الحيوانات. يقول التعليق: «كنا بسوريا نشتري اللحمة من عند اللحام يلي منضمن أنو لحمتو تازة ونضيفة، لا بهمنا أصلو ولا فصلو. وأغلب ذبيحة ولحامة العيد شوايا من مناطق ما بتعرف الدين أساساً، مع احترامي لكل الشوايا».

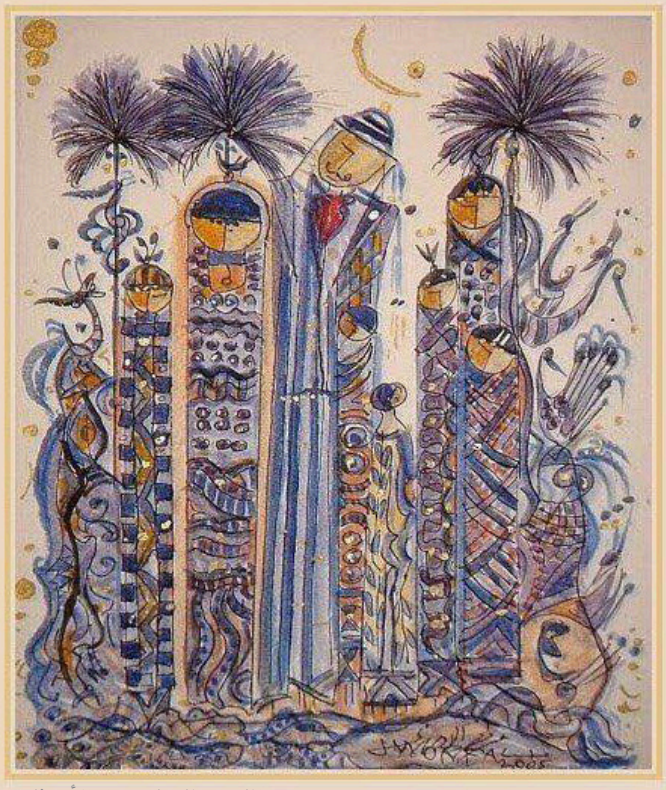

اللوحة للفنانة وداد الأورفلي

اللافت للانتباه ليس التعليق الغبي ذاته، فطريقة الذبح من الأمور التي يتعلمها أبناء المنطقة بحكم العادة، بل الردود عليه من أبناء المنطقة الشرقية خاصة، عبر مقالات وفيديوهات وتعليقات، تعبر عن رؤيتهم لذاتهم وللعالم.

بالطبع، ليست هذه العاصفة الأولى من نوعها، ولن تكون الأخيرة، لكنها تأتي في وقت تتبلور فيه المنطقة ثقافياً بأكثر من اتجاه، بالتوازي مع تبلورها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الجديد. فإذا كانت قد شهدت منذ نصف قرن انتقالاً إلى اقتصاد تحكم الدولة القبض على مفاصله مع مكننة الزراعة، وتخلخلت بناها الاجتماعية مع تمدد حزب البعث والجمعيات والنقابات، وشهدت انتشاراً لثقافة القانون، وفوق ذلك لشعائر الدين؛ فإنها تشهد اليوم انتقالا إلى اقتصاد منفلش أحد أعمدته التجارة الحرة، وخلخلة اجتماعية أخرى مع ظهور المنظمات والفصائل، وبروزاً لثقافة نقل الصورة عن الذات للآخر، وتعميماً لنمط من الدين. وليست العشيرة بعيدة عن ذلك كله.

وبغض النظر عن الردود التي نالت من صاحب التعليق نفسه، والتي عبرت عن صراع أدوار يتعلق بتمثيل السوريين ثقافياً في ألمانيا، فالمعلق مؤسس البيت السوري في ألمانيا وأحد ممثلي الجالية هناك، وبغض النظر كذلك عن التعليقات التي حاولت أن توضح سبب تسمية الشوايا بهذا الاسم بطريقة موارية، حين خلطت الحشمة والكرم والشجاعة والنسب بالدين، محاولة عبر هذه الصفات إثبات تدين أهل المنطقة، وتقف خلف هذه التعليقات حساسية من استعمال الغير لوصف الشوايا، رغم أنه مستعمل بين أبناء ريف دير الزور بأريحية؛ إلا أن المهم في الأمر هو التعليقات التي عبرت عن استيائها من نزع الدين عن الشوايا، وقد كانت الأصوات الأعلى في عين العاصفة، ويمكن من خلالها تلخيص الفكرة السائدة اليوم بين جزء لا يستهان به من أبناء المنطقة في دول اللجوء: «نحن متدينون بالأساس، ويجب تقديمنا إلى الآخر على أننا متدينون». وربما كان لهذه الفكرة علاقة بنفي فكرة أخرى مفادها أن «تنظيم الدولة علّم الناس الدين»، وهي فكرة ليست ضيقة الانتشار.

يقول ياسين الحافظ في مذكراته عن أواخر الأربعينيات، حين كان معلّماً في ريف دير الزور: «كان أبناء القرية لا مبالين دينياً. صحيح أنهم ينطقون بالشهادتين إلا أن القرية كانت من غير جامع، وكان عدد من يصلون من أبنائها محدوداً، من جملتهم المختار. وكان من يصلي يعتبر فهيماً ومثقفاً لأنه يعرف الفاتحة. وبين جرابلس والبوكمال لا أظن أنه كان هناك مساجد في القرى». ثم يتابع متكلماً عن الفترة التي سُجلت فيها مذكراته عام 1978: «إلا أنه بذلت في الآونة الأخيرة جهود كثيرة لبناء جامع أو أكثر في كل قرية». وقبله يقول وصفي زكريا: «العرب إسلامهم على فطرته الأولى بعيد عن التعاليم». ويقصد بالعرب أبناء العشائر الجمالة (أهل الإبل، البدو) والعشائر الغنامة (أهل الشياه، الشوايا). كما يورد في كتابه «عشائر الشام» العديد من الآراء التي تدور حول هذه الفكرة. أما المستشرق ماكس أوبنهايم، في كتابه «البدو» الذي يرصد فيه عشائر العكيدات والبكارة وعشائر أخرى، فيقول: «البدو مسلمون وهم يلهجون على الدوام بذكر الله الذي لا يفارق اسمه أفواههم، لكن بالكاد تجد بين بضعة آلاف منهم واحداً يعرف شعائر الصلاة». وسجلت الرحالة آن بلنت الملاحظة التالية: «بالنسبة لأخلاقية البدو فهم يختلفون فيها عنا كما يختلفون في طريقة التدين. فنحن نلتزم بأخلاقية تنبع من تشريعات إلهية معينة، أما بالنسبة لهم فإن هذه الأخلاقية تكون نتيجة لممارسات طبيعية للأمور».

فكون المنطقة لا تعرف شعائر الدين ليس أمراً على درجة عالية من الغرابة في تلك الفترة، كما أنه ما زال معروفاً في بعض التجمعات في المنطقة، ولم ينظر إليه على أنه أمر مستهجن إلا مع محاولات تعميم التدين، بل وضع في إطار الفطرة والطبيعة. لكنه سيبقى غريباً أو مربكاً لمن ينظر إلى المشابهين له في الانتماء أو الهوية (الشوايا) على أنهم متماثلون معه في الثقافة (الدين)، التي ينظر إليها كشيء جامد ونهائي. فليس مستغرباً، والحال هذه، أن يطالب الكثيرون في تعليقاتهم بعدم تعميم الأحكام التي تخص الجهل بالدين على أبناء المنطقة، على أن الحقيقة أن تلك المطالبة هي تعميم من نوع آخر، يسبغ رؤيته عن الدين على الآخرين الذين يراهم بمكبرة منتزعة من الذات، لتظهر المطالبة بعدم التعميم في النهاية وكأنها دفاع عن أنفسنا، إذ إن ما لدينا هو «الحق».

مقاتلون ألبان وكوسوفيون يمزقون جوازات سفرهم

المقاتلون الألبان والكوسوفيون في سورية

د. علي حافظ

شهدت ألبانيا، البلد الأوربي الصغير الهادئ، الذي يبلغ عدد سكانه حوالي 3 مليون نسمة، المسلمون منهم أكثر من 70%؛ زيادة واضحة في بناء المساجد وظهور المدارس الإسلامية والجمعيات الخيرية الممولة من جهات خليجية وتركية خلال السنوات الأخيرة، مثلها مثل أغلب الدول المسلمة التي خرجت من عباءة الشيوعية السوفييتية في العقود الماضية.

كما شهدت أيضاً شيئاً يشبه الصحوة الدينية من خلال عودة الطقوس الإسلامية إلى حياة المجتمع بعامة، دون تعصب ملحوظ ولا جنوح نحو التطرف. لكن مع ظهور تنظيمي القاعدة والدولة الإسلامية في سورية بدأ بعض الأئمة المتأثرين بدعايتهما -أمثال بوجار هيسا الذي سجن بتهمة تجنيد المقاتلين وإرسالهم- بتشجيع الشباب المتدين المتحمس ودعوتهم إلى الالتحاق بالجهاد في بلاد الشام. وقد وجدت هذه الدعوة قبولاً نوعاً ما في أحياء المدن الفقيرة والقرى النائية، لا سيما في جنوب شرقي البلاد، فغادرت أولى المجموعات الجهادية وانضمت إلى كتائب مقاتلة في سورية، جُل مجاهديها قدموا من دول البلقان.

تشير جريدة الواشنطن تايمز، مستندة إلى بيانات مأخوذة من وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، إلى انضمام مئات الأشخاص من البوسنة والهرسك وصربيا وألبانيا وكوسوفو إلى القتال في سورية منذ عام 2012، عاد العشرات منهم إلى أوطانهم بعد عدة سنوات. وقد اعترف وزير خارجية ألبانيا، ديتمير بوشاتي، بتورط عدد من مواطنيه بالعمل مع داعش، أثناء لقاء مع وزير الخارجية العراقي إبراهيم الجعفري في أيلول 2015، على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك.

وقدرت جريدة الواشنطن بوست، عام 2015، عدد المنتسبين إلى داعش من ألبانيا بحوالي 100 شخص تقريباً؛ سطع بينهم نجم ألمير داتشي، الملقب بأبو بلقيسا، وهو الإمام السابق لمسجد قرية ليشنيس الواقعة في مقاطعة بوغراديتش شرقي العاصمة تيرانا. وقد جند الكثير من الرجال في شرقي ألبانيا، كما هاجر هو نفسه إلى سورية وقتل هناك في إحدى معارك التنظيم عام 2016. وقد انتشرت الفيديوهات التي ظهر فيها أبو بلقيسا على موقع اليوتيوب بشكل كبير في ألبانيا، لا سيما تلك التي حث فيها أبناء بلده على الجهاد، وعلى القيام بعمليات عسكرية لإسقاط الحكم الكافر في بلده.

رغم ذلك يبقى عدد المهاجرين الألبان قليلاً مقارنة بالمهاجرين القادمين من كوسوفو والبوسنة والهرسك ومقدونيا، لأن سكان ألبانيا ليسوا متعصبين دينياً بل قومياً. ومسألة الدين لدى فئات اجتماعية واسعة منهم ليست بأهمية أيديولوجية «الألبنة» التي تهدف إلى إنشاء «ألبانيا الكبرى» بجمع أراضي الإمبراطورية السابقة، الواقعة اليوم ضمن اليونان ومقدونيا والجبل الأسود وجنوب صربيا وكوسوفو.

شارك الكثير من الجهاديين العرب والمسلمين في حروب البلقان منذ عام 1992، واستقر بعضهم هناك بعد انتهاء الأعمال القتالية، لا سيما في البوسنة التي أمر أول رئيس لها، علي عزت بيجوفيتش، بمنح جوازات سفر للآلاف من المتطوعين الأفغان والباكستانيين والجزائريين والسودانيين واليمنيين... بقي أغلب هؤلاء على تواصل مع تنظيماتهم السابقة، وقاموا بتجنيد المقاتلين في البلقان للمشاركة في الحرب السورية.

من المثير للاهتمام أيضاً أن المدير السابق لوكالة الأمن العسكري الصربي، الجنرال مومير ستويانوفيتش، أشار عام 2004 إلى خطر انتشار الراديكالية الإسلامية قائلاً: «أصبحوا جزءاً من واقعنا.. إنهم يجتمعون في المساجد، ويشاهدون أفلام فيديو حول الانتحاريين، ويقومون بالتدريب على الأعمال الإرهابية...». في حين يقول رئيس قسم الدراسات السياسية الأوروبية في أكاديمية العلوم الروسية، كونستانتين فورونوف، إنه تم إنشاء خلية إسلامية في شبه جزيرة البلقان منذ زمن بعيد، وهي تعمل بشكل فعلي.

يشكل المهاجرون من كوسوفو وميتوهيا (يتعامل القانون الصربي مع كوسوفو كجزء من صربيا، ويسميها رسمياً «إقليم كوسوفو وميتوهيا الذاتي الحكم»، على الرغم من إعلان كوسوفو الاستقلال في 17 شباط 2008) النسبة الأكبر من مهاجري تنظيم داعش بالنظر إلى عدد سكان بلدهم. وحسب تصريحات وزير خارجية صربيا، إيفستا داتشيتش، في مجلس الأمن في نيويورك (آذار 2017)، فإن هناك 300 رجل و36 امرأة من كوسوفو يقاتلون في سورية. لكني أعتقد أن العدد أكبر من ذلك بكثير، لا سيما إذا جمعنا مهاجري ألبانيا والبوسنة ومقدونيا في داعش، إضافة إلى وجود أعداد لا بأس بها منهم في صفوف هيئة تحرير الشام التي ورثت جبهة النصرة، الفرع السوري السابق لتنظيم القاعدة، ربما يصل إلى حوالي 900 شخص، حسب بعض أجهزة المخابرات الأجنبية!

ومن بين أبناء كوسوفو برز القيادي في داعش لافدريم مهاجري، الذي يعد أكثر أجنبي في التنظيم ارتكب جرائم في حق السوريين.. وسنتحدث عنه بالتفصيل في العدد القادم.

حوض البليخ...
من الاستقرار المتأخر إلى الاضطراب

ملف خاص

من قرية الناصرية على نهر البليخ - خاص عين المدينة

على نهر البليخ، وفي حوضه، تقع معظم الحواضر الرئيسية من بلدات وقرى ومزارع ريف الرقة الشمالي. ومنذ تحرير الجيش الحر مدينة تل أبيض أعلى النهر، في أيلول 2012، ثم صعود جبهة النصرة، فولادة داعش منها فتمددها ثم انكماشها، فصعود حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي pyd؛ صار حوض البليخ وفضاؤه المجاور مسرحاً لحوادث كبرى تعدى تأثيرها محافظة الرقة إلى المشهد السوري كله.

في هذا الملف تحاول «عين المدينة» عرض تعريف اجتماعي تاريخي اقتصادي بهذا الحوض، وتلمس العوامل التي دفعت مجتمعاته الصغيرة إلى اتخاذ مواقف غير حاسمة إزاء القوى المتعاقبة عليه، وعرض آراء مختلفة عن واقعه اليوم في ظل سلطة الإدارة الذاتية.

يصعب التحديد الدقيق للزمن الذي استقرت فيه مجموعات من عشائر المشهور والبوعساف والفدعان والعفادلة والمجادمة وغيرها لتعمل بالزراعة في قرى البليخ، وكذلك الحال مع مجموعات أسبق من عرب الهنادة والتركمان. لكن، وعلى ما يظهر من روايات مكتوبة وشفوية، فقد استقرت هذه المجموعات في المنطقة على مراحل ابتداءً من الربع الأخير للقرن التاسع عشر. حينذاك، وحتى خروج العثمانيين من سوريا بعد عام 1916، كان النصف الأعلى من حوض البليخ يتبع لولاية أورفا، وكانت الأراضي المزروعة فيه مملوكة بمعظمها لإقطاعيين أتراك يديرونها عبر وكلاء عرب، سيتحول بعضهم، بعد ترسيم الحدود مع تركيا عام 1921، إلى ملاك جدد. في حين كانت الأراضي المزروعة في النصف الأسفل من النهر ملكاً بمعظمها لعائلات مشيخية عشائرية، أبرزها فرع من أسرة المهيد الفدعانية البدوية متنامية النفوذ.

خلال الانتداب الفرنسي وحتى منتصف خمسينات القرن الماضي، وقع حوض البليخ بمعظمه في الدائرة المباشرة لنفوذ مجحم بن مهيد، زعيم عشيرة الفدعان (بطن من عنزة)، من عاصمته المجاورة عين عيسى. وكان العمل الزراعي يعتمد آنذاك على وسائل وأعراف الإقطاع التقليدي، قبل أن تجلب الوحدة مع مصر (1958–1961) أول التغيرات الهامة في الزراعة، وفي جوانب التعليم والصحة والخدمات، بما حملته قوانين استصلاح الأراضي التي أصدرتها سلطة الوحدة من آثار. وقد أسهمت هذه القوانين، إلى جانب دخول الآلة والري بالمضخات، في تحقيق تطور جزئي في قرى البليخ، فتوسعت بعض القرى الأقدم (عين العروس وخربة الرز وبوز الخنزير وعلي باجلية والدوغانية وحمام التركمان وصكيرو وخنيز وتل السمن والهيشة) وولدت قرى ومزارع جديدة على طول النهر الممتد لمسافة 110 كم من منبعه شمالاً من عين العروس وحتى مصبه على الفرات في قرية طاوي رمان شرق الرقة.

بين عامي (1966–1970) أسهمت الجمعيات الفلاحية الوليدة، إلى جانب حزمة جديدة من قوانين التأميم واستصلاح الأراضي التي أصدرتها سلطة البعث يسارية الهوى آنذاك؛ في توسيع دائرة الاستقرار والنمو في حوض البليخ، وازداد عدد المدارس الابتدائية التي سيشكل بعض طلابها، ممن سيكملون تعليمهم في مدينتي حلب والرقة، الشريحة الأولى من متعلمي هذا الريف الفقير المستبشر خيراً بحكامه البعثيين.

وخلال العقد الأول من عهد حافظ الأسد ظلت الانطباعات الحسنة الموروثة عن البعث فاعلة في وعي فلاحي البليخ الذين أكلموا استقرارهم في القرى المعروفة اليوم (انظر الجدول المرفق). ولم يؤد الجفاف التدريجي لنهر البليخ في نصفه الأسفل ابتداء من منتصف عقد الثمانينات* إلى تغير هام في هذا الوعي، رغم مظاهر الخراب والبؤس التي تجددت في المنطقة نتيجة الجفاف، وما تبعه من موجات هجرة إلى العشوائيات الطرفية الناشئة حول مدينة الرقة، أو سفر الشبان إلى الأردن ولبنان بحثاً عن فرص عمل. لم تتحسن الأحوال العامة إلا مع إطلاق سلسلة مشاريع البليخ الزراعية في عقد التسعينات، بجرّ مياه نهر الفرات من بحيرة سدّه في الطبقة لإرواء مساحات شاسعة من الأرض في حوض البليخ، وصل مجموعها في العقد الماضي إلى نحو 50 ألف هكتار استفاد منها أكثر من 60 ألف نسمة من سكان الحوض الذين يبلغ مجموعهم -باستثناء تل أبيض- نحو 110 آلاف نسمة، حسب تقديرات مهتمين بالزراعة من أبناء المنطقة. رافقت النهضة الزراعية الأخيرة في

*تراجعت غزارة المنبع بسبب حفر مئات الآبار الارتوازية في سهول أورفا الجنوبية على الجانب التركي من الحدود.

الحوض ممارسات تمييزية لصالح المتنفذين الأكثر ولاء للنظام، وأدخلت تعديلات جانبية في مخططات المشاريع بتأثير من بعض المسؤولين الكبار الذين استولوا على أراض في المنطقة، مثل محمد زهير مشارقة، نائب حافظ الأسد، قرب قرية صكيرو على البليخ، وفايز النوري، رئيس محكمة أمن الدولة، في قرية الفاطسة 15- كم غرب النهر- إلى جانب تأثيرات مصطفى العايد ابن قرية خربة الرز والرئيس التاريخي لاتحاد الفلاحين، مقابل حرمان مستحقي هذه المشاريع، وخاصة في القرى الشمالية من حوض البليخ التي جفت أراضيها هي الأخرى مع نضوب عين العروس منبع النهر في العام 1994، بفعل الاستجرار العشوائي من الآبار المحفورة في حرم المنبع أو على مقربة منه.

الثورة المفاجئة ثم داعش فقسد

وبالطبع صُوِّرت مشاريع الري هذه، التي أسهمت فعلاً في تطوير الريف الشمالي للرقة واستقراره، كمكرمات من النظام. لتأتي الثورة مفاجأة غير مفهومة لدى الأغلبية، خاصة مع إدراكهم قوة النظام وتغلغله عبر شبكات الموالين. «ماذا تريدون؟» كان السؤال الأول الذي يسأله مؤيدو الأسد لمن أظهر حماسة للثورة وخرج ليتظاهر كل جمعة في مدينة الرقة أو في تل أبيض. وبدا السؤال مشروعاً لدى آخرين. وفُهمت الثورة على أنها اضطراب عابر، قبل أن يتحول إلى خطر مع شيوع مظاهر الفوضى والانفلات بعيد خروج المنطقة عن سيطرة النظام. عوامل عدة لعبت دورها في صناعة هذا الموقف الأهلي، أهمها براعة النظام في إثارة الانقسامات وضرب المجموعات العشائرية والعائلية ببعضها، وكذلك التنوع الشديد لعشائر البليخ التي تتجاور أو تتساكن في تجمعات صغيرة لا يزيد سكان أكبرها على 20 ألف نسمة في قلة من البلدات، ما سهل على النظام سحق أي احتضان أهلي محتمل دون أن ينقلب الناس إلى مدافعين عنه.

جاء الجيش الحر، جاءت النصرة، جاءت داعش، وجاء pyd أخيراً، وقبلهم النظام. والغالبية في حوض البليخ تقف عاجزة عن اتخاذ موقف حاسم من هذه القوى العاتية، إنهم ينشدون السلام فقط دون أن ينالوه.

لقد فتكت بهم داعش وجعلت سبل الحياة العادية أمامهم مستحيلة، لتكون الخيار الأسوأ بين الجميع، خاصة مع انهيار أو تآكل معظم مكتسباتهم الاقتصادية السابقة. وتدريجياً، مع طرد داعش من قرية وراء قرية في حوض البليخ، منذ الأشهر الأخيرة لعام 2015؛ استعاد الناس بعض مظاهر حياتهم العادية في ظل سلطة pyd أو إدارته الذاتية، رغم الجدل الواسع والعميق الذي يثيره هذا الحزب وتثيره هذه الإدارة في مجتمعات البليخ الصغيرة ومجتمع الرقة بشكل عام.

يرى صالح هنداوي، مدير المدرسة السابق وعضو المجلس المحلي -الحر- لمحافظة الرقة حالياً، أن pyd سلطة احتلال، ويرفض المسوغات التي تسوقها شخصيات عربية منخرطة في نشاطات موالية للحزب، سواء في إدارته الذاتية أو في «قوات سوريا الديمقراطية» التي أسسها بمشاركة عرب، فهؤلاء «يوالون pyd لأنه من رائحة النظام الذي يوالونه في الأصل، وأملاً بعودته»، حسب ما يقول الهنداوي الذي يصنف موالي قسد اليوم إلى ثلاث فئات: فئة قاست الآلام والمظالم إلى حد كبير في عهد داعش ما ولد لديها ردة فعل ترحب بأي قوة تطرد التنظيم، وفئة موالي النظام، وفئة الانتهازيين من «أصحاب المصلحة وأتباع القوة مهما كانت، من النظام إلى داعش إلى قسد، وإن ظهرت قوة جديدة سيبدون لها مظاهر الولاء والطاعة».

أبو محمد، وهو الاسم الذي اختاره عضو إحدى لجان مجلس الرقة المدني الذي أسسته «قوات سوريا الديمقراطية»، يرفض اتهامه بتأييد النظام ويدافع عن المجلس الذي ينتمي إليه بأنه قام لـ«خدمة الناس» وتحقيق الحد الأدنى من مستلزمات عيشهم المفقودة «بعد خمس سنوات من الهلاك والحرب والفوضى» كما يقول، «لأن الناس ملت وتعبت وتريد ترجع على بيوتها بس». موال ثان للإدارة الذاتية من بلدة الهيشة في حوض البليخ، رفض هو الآخر التصريح باسمه، أبدى تفاؤله باستقرار بلدته وعودة ما تبقى من نازحيها الذين شردتهم الحرب وفق قوله: «بلشت الناس ترجع على بيوتها وتفلح أرضها، وما حدا له عندنا شي. الناس تريد الأمان والستر بس».

في حزيمة 20- كم شمال الرقة- التي بلغ عدد سكانها 5000 نسمة تقريباً قبل الثورة، أسست الإدارة الذاتية «كومين» (مجلس إدارة محلي) في الأسبوع الأخير من الشهر الماضي. وألقى عادل العلي، عضو مجلس الرقة المدني وابن حزيمة، في اجتماع تأسيس كومينها الذي انعقد في منزله، كلمة قال فيها إنهم «كمجلس محافظة الرقة المدني... يشكلون الكومينات في القرى، وإنهم ينظمون أنفسهم بالكومينات، ومن خلالها يعملون على خدمة المجتمع»، حسبما نقلت وسائل إعلام مؤيدة لـpyd غطت الاجتماع. ولكن شاباً مناهضاً للحزب نقل عن مشاركين في الاجتماع ذاته جهلهم حين حضروا بسبب انعقاده، ودهشتهم من «تشكيل الكومين وفكرته ولفظه»، لكنهم اضطروا إلى المسايرة لعجزهم عن تغيير شيء أو خوفهم من تهمة «موالاة داعش». ورغم ذلك، حسب ما يروي الشاب اللاجئ في تركيا لـ«عين المدينة»، فإن مصوري قسد «صوروا النساء الحاضرات خلسة لإظهار مشاركة المرأة ودورها في مسرحية الكومين»، ما أدى إلى احتجاجهن واحتجاج البعض، دون جدوى.

قسمت الإدارة الذاتية حوض البليخ والمنطقة الأوسع شمال الرقة إلى جزئين؛ أتبعت الجزء الواقع شمال طريق الحسكة- حلب، عند قرية صكيرو، لمدينة تل أبيض، وأخذت بتأسيس كومينات فيها، فيما لم تحسم بعد تابعية القرى جنوب الطريق ولكنها بدأت، وببطء منذ الشهر الماضي، بتأسيس كومينات فيها أيضاً. وحسب معارضي الإدارة فإن اللجان الأمنية في الكومين

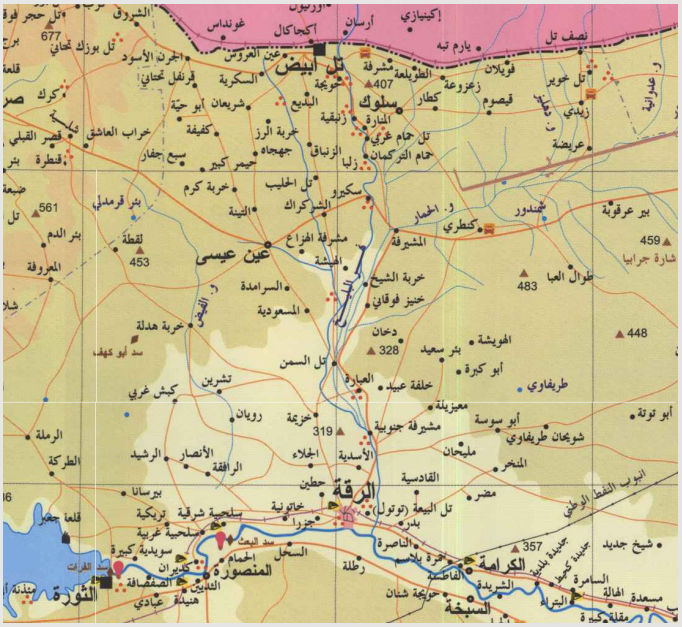

هي الأشد أهمية بين اللجان الأخرى التي تتفاوت في نشاطها من كومين قرية إلى آخر. يسخر الهنداوي من المشاركة العربية في الإدارة وفي «قواتها الديمقراطية»، طالما ظل «المحققون الأمنيون، والسجانون، وموزعو الذخيرة والسلاح، وغيرهم من أصحاب القرار الفعلي، أكراداً» حسب ما يقول في ملاحظاته على «شكلية شعارات الديمقراطية وأخوة الشعوب التي يرفعها pyd». ويتذكر واقعتي اعتقاله من داعش وإهانته لأنه من أنصار الثورة، متهماً بموالاة «الردة والمجالس الكفرية»، ثم اعتقاله ثانية من قبل الحزب وإهانته أمام عائلته وأقاربه بتهمة موالاة داعش. ويقول معلقاً على شؤون الإدارة غير السياسية: «إدارة يختلف فيها سعر المازوت، ويكون أرخص شرق البليخ لأنه تابع لكانتون الجزيرة ويكون أغلى غربه لأنه الأغلبية عربية، إدارة عنصرية». والأمثلة التي يضربها على ذلك كثيرة: «لما تحكي كردي راح تمر بسرعة من الحواجز، وراح تاخذ دور أسرع عالأفران، وراح تكون بمأمن من اتهامك أنك داعشي أو صدامي، وهي التهم العاجلة لكل من يتردد في تأييد pyd». وفي الواقع يسجن الداعشي 3 أشهر لدى الإدارة، فيما يسجن المنتسب سابقاً إلى الجيش الحر 9 أشهر وربما أكثر، وحسب الرشوة والواسطة كما يقول. يتمنى الهنداوي على الفاعلين في حوض البليخ أن يكونوا على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقهم اليوم، ويحذر من الآثار اللاحقة التي ستخلفها «الممارسات العنصرية لـpyd في حق أغلبية السكان العرب».

يكرر أبو علي شويمي، وهو عضو المجلس المحلي -الحر- لمحافظة الرقة، مآخذ الهنداوي على الإدارة الذاتية، ويرى أن مشاركة سكان البليخ أو مسايرتهم لـ«قسد» مسايرة مؤقتة ناجمة عن قسر واضطرار، ويتوقع فشلاً ذريعاً للإدارة الذاتية ستعقبه صراعات معقدة عربية-عربية، وكردية-كردية، وعربية-كردية بطبيعة الحال، وفق ما قال.

خلال السنوات الماضية، وفي معظم قرى البليخ، انهارت البنى التحتية لقطاعات الخدمات -الكهرباء ومياه الشرب- والصحة والتعليم. وانهارت البنية التحتية للعمل الزراعي ممثلة في منظومة الرعاية والتخطيط الحكومية، وتضررت إلى حد كبير منظومة الري بفعل توقف أعمال الصيانة، وتخربت أجزاء متفرقة من شبكة الأقنية وخطوط الجر والبوابات. فيما يعد ارتفاع أسعار الوقود في القرى الشمالية من البليخ المشكلة الأولى التي يعاني منها الفلاحون إضافة إلى المشاكل الرئيسية الأخرى، كارتفاع أسعار السماد والبذار والأدوية الزراعية وتكاليف تشغيل الآلات الزراعية.

استطلاع رأي:

أجرت «عين المدينة» استطلاع رأي محدود على عينة من 100 شخص في بعض قرى حوض البليخ، سألتهم فيه عن ترتيب المشكلات التي يعانون منها في حياتهم اليومية، إن كانت أمنية متمثلة في الملاحقة من قبل سلطة الإدارة الذاتية، أو اقتصادية متمثلة في ندرة فرص العمل وانهيار الزراعة، أو خدمية بتردي الخدمات الحيوية العامة. فأظهرت الإجابات أن المشكلة الاقتصادية هي الأهم لدى نصف العينة، تليها المشكلة الأمنية، فالخدمية، وفق ما يظهر التمثيل البياني التالي:

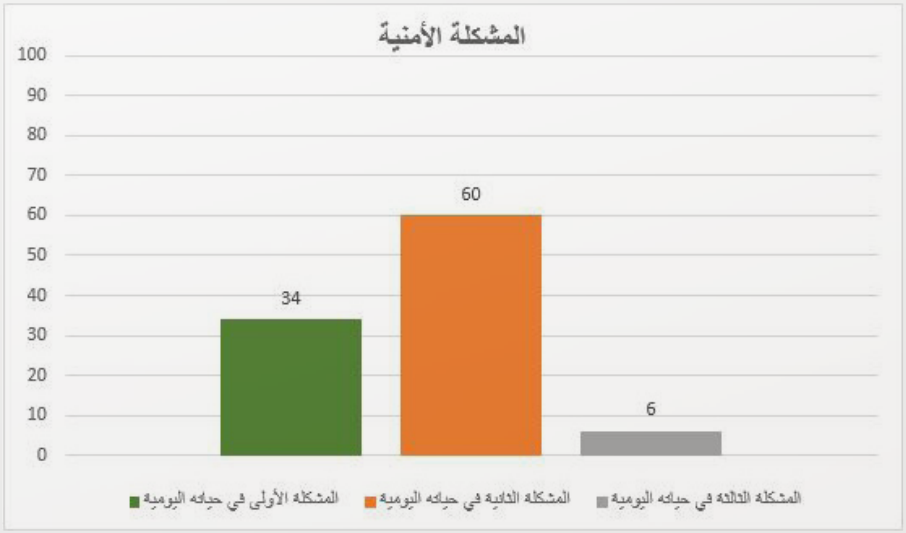

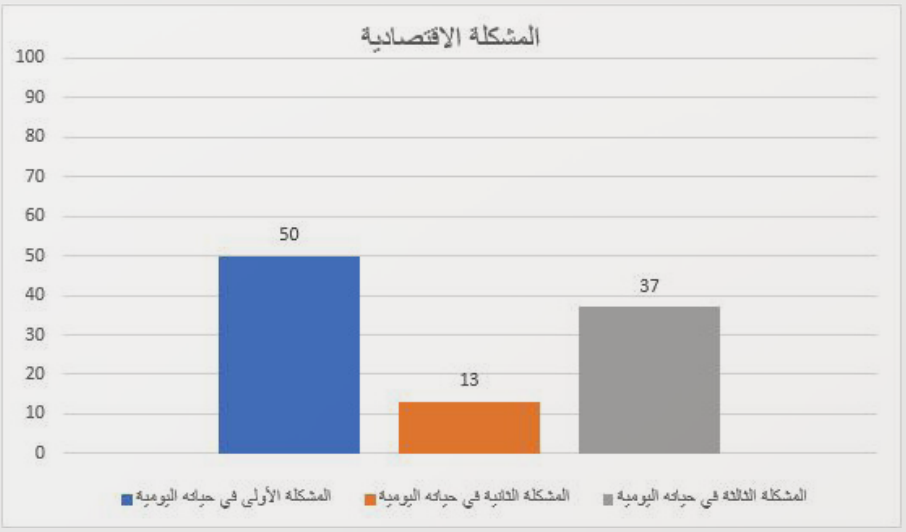

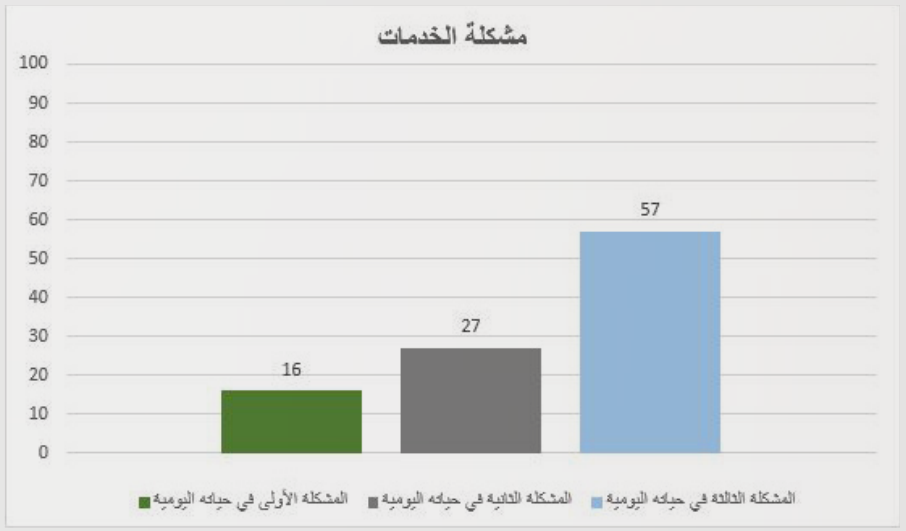

يعرض الجدول معظم القرى والمزارع الواقعة في حوض البليخ، مع تحديد الأغلبية العشائرية المقيمة فيها، ونوع إدارتها، وحالها من الاستقرار أو النزوح.

	القرية	العشيرة	الإدارة	الاستقرار والنزوح
1	عين العروس	مشهور	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
2	الجدلة	مشهور	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
3	الناصرية	مشهور	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
4	الحويجة	مشهور	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
5	باق برنة	مشهور - جماسة	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
6	حويجة البوز	هنادي	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
7	خربة الرز	بوخميس - جديداوي	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
8	المالحة	بوبنة - مجادمة		مستقرة جزئياً
9	المشرفة	مشهور - مشاهدة	كومين تابع لتل أبيض	نزوح وتهجير
10	دوغانية العشمان	نعيم	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
11	دوغانية الصادق	بوعساف	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
12	علي باجلية	بوعساف - بوخميس	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
13	أم عظام	بوعساف - جديداوي	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
14	الزنبقية	تركمان	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
15	المنارة	تركمان - بوعساف	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
16	التركمان شمالي	تركمان - بوعساف	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
17	التركمان جنوبي	تركمان - جيس-مشهور	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
18	دامشلية	تركمان - بوعساف	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
19	صكيرو عتيق	بني خالد - بوعساف	كومين تابع لتل أبيض	مستقرة جزئياً
20	صكيرو الجسر	بني خالد - بوعساف		مستقرة جزئياً
21	حويجة الرديني	بوعساف		مستقرة جزئياً
22	مستريحة العران	مشهور		مستقرة جزئياً
23	الغازلي	بوعساف - فدعان		مستقرة جزئياً
24	صران	بوعساف		مستقرة جزئياً
25	الشيخ حسن	بوعساف		مستقرة جزئياً
26	الهيشة	بوعساف - سرامدة - عفادلة		مستقرة جزئياً
27	الحرية	عفادلة		مستقرة جزئياً
28	المرندية	عفادلة		مستقرة جزئياً
29	الطويلعة	عفادلة		مستقرة جزئياً
30	تل السمن	عفادلة - فدعان - بوعساف		مستقرة جزئياً
31	حزيمة	بوعساف - عفادلة	كومين يضم قرى مجاورة	مستقرة جزئياً
32	خنيز فوقاني	مجادمة		مستقرة جزئياً
33	خنيز وسطاني	مجادمة		مستقرة جزئياً
34	خنيز السلمان	مجادمة		مستقرة جزئياً
35	ثلث خنيز	مجادمة		مستقرة جزئياً
36	الكالطة	عفادلة		مستقرة جزئياً
37	معيزيلة	عفادلة		مستقرة جزئياً
38	أبو شارب	عفادلة		مستقرة جزئياً
39	العبارة	عفادلة		مستقرة جزئياً
40	حلو عبد	عفادلة		نزوح كلي
41	الرحيات	عفادلة		نزوح كلي
42	المشيرفة	بوحميد		نزوح كلي
43	شنينة	عفادلة		نزوح كلي
44	الماوردة	عفادلة		نزوح كلي
45	رقة السمرا	عفادلة		نزوح كلي
46	طاوي رمان	عفادلة		

اعتمد في العمود الثاني اسم الفرع الموجود من كل عشيرة. فكان المشهور من البقارة، والبوعساف من الدليم، والعفادلة والبوحميد من البوشعبان، والمجادمة من الجبور، والسرامدة من جيس، والجماسة من بني سبعة، والفدعان من عنزة.

الدور على قطر.. فمن هو التالي؟

بخلاف الجولة السابقة من الخلاف السعودي-القطري، في العام 2014، التي انتهت إلى تسوية سريعة، لا يبدو الصراع الحالي قابلاً لتدوير الزوايا بسهولة.

بكر صدقي

لقد تجاوز الأمر، على ما يبدو، مطالبة المحور السعودي-الإماراتي-المصري لقطر بـ«تغيير سلوكها» إلى استعداده للذهاب بعيداً حتى الإطاحة بالحكم القطري. هناك تكهنات، لم تتأكد صحتها، عن إعداد السعودية لبديل عن الأمير تميم، من العائلة الحاكمة نفسها.

لا يمكن عزل اندلاع الأزمة الحالية عن زيارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب إلى الرياض. يبدو أن تلك الزيارة لم تقتصر على صفقة السلاح الضخمة التي حصل عليها ترامب «لخلق آلاف فرص العمل في الولايات المتحدة» كما قال، ولا على إنشاء تحالف أميركي-إقليمي لمواجهة الإرهاب وإيران، بل أعطى إشارة البدء أيضاً لإنهاء «النشاز القطري» في المنظومة الخليجية والصراعات الإقليمية. يبقى أن إسرائيل انتعشت بدورها من زيارة ترامب وما انطوت عليه من توجهات جديدة، فبات الحديث شائعاً عن استعدادات تجريها لشن حرب جديدة على قطاع غزة.

غير أن مؤشرات التطورات الحالية كانت قد ظهرت قبيل قمم الرياض الترامبية بفترة، منها مثلاً إصدار حركة حماس (الفرع الفلسطيني لحركة الإخوان المسلمين) وثيقتها الجديدة التي قطعت فيها ضمناً مع الإطار الإخواني العالمي، ومنها تلمس إخوان سوريا، منذ بعض الوقت، على رؤوسهم وبحثهم عن شركاء وطنيين يحتمون بهم من الموجة العاتية القادمة مع إدارة ترامب الذي سبق وأعلن عزمه على إدراج الحركة ضمن قوائم الإرهاب.

تلاقى هذا الميل الترامبي المعادي لكل ما هو مسلم مع السياسات الإماراتية المتوجسة من كل ما يمت إلى الإسلام السياسي بصلة، وخاصة التيار الإخواني الذي انتعش إبان ثورات الربيع العربي، وتم ضربه بقسوة في مصر عبر الإطاحة بالرئيس السابق محمد مرسي القابع في السجن إلى اليوم. وكان الصراع دائراً، بصمت، بين المحور الإماراتي-السعودي-المصري وقطر، في ليبيا بصورة خاصة. وإذ لم يتمكن المحور الأول من حسم الصراع لمصلحته هناك، قرر مواجهة دولة قطر مباشرةً من خلال عزلها والضغط عليها بهدف إخضاعها.

هل ينحصر الصراع بين الطرفين، إذاً، في موضوع الإخوان المسلمين والإسلام السياسي عموماً، أم أنه أوسع وأعمق من ذلك؟

من زاوية النظر السعودية، لعب خروج العائلة الحاكمة في قطر على الوصاية السعودية التقليدية، منذ استلام الأمير حمد مقاليد السلطة أواخر التسعينات، دوراً أساسياً في الخصومة الثابتة بين الطرفين، أججتها أكثر سياسة المناكفة القطرية لشقيقتها الكبرى، ولعبها أدواراً تتجاوز حجمها، بفضل الثروة الغازية والإعلام. فقد نسج الأمير حمد علاقات مع أطراف إقليمية متناقضة كإيران وإسرائيل وعراق صدام حسين وحزب الله اللبناني وحركة حماس، إضافة إلى علاقة مميزة مع الولايات المتحدة التي تملك قاعدة عسكرية ضخمة على الجزيرة الصغيرة. هذه الشبكة من العلاقات أهلت قطر للعب أدوار ديبلوماسية نشطة في كل مشكلات المنطقة، لتقبع السعودية -بكل إمكاناتها- في الظل، بسبب السياسة الحذرة الخائفة من كل شيء لعائلتها الحاكمة.

أما دولة الإمارات، التي لعبت دور رأس الحربة في التصعيد ضد قطر، فربما تتجاوز في مخاوفها على «استقرارها الثري» السعوديةَ نفسها. وهكذا رأيناها تشارك بفعالية في الصراع الليبي الداخلي، كما في الحرب السعودية على الحوثيين في اليمن، ولعب ولي عهد أبو ظبي دور اللوبي المعادي لقطر في واشنطن.

لكن الأهم من كل هذه الاعتبارات هو الاستياء السعودي-الإماراتي من الحماسة القطرية في الدعم الصريح لثورات الربيع العربي، وبصورة خاصة على المستوى الإعلامي. وإذا كانت قطر قد راهنت على ربيع إخواني اللون في بلدان الثورات، وهو ما لعب دوراً سلبياً في الثورة السورية بصورة خاصة، فأنظمة الخليج التي أثارت الثورات الشعبية ذعرَها خوفاً على عروشها، عملت كل ما في وسعها لوأد فكرة الثورة وأداً نهائياً، بدءاً باستضافة السعودية للدكتاتور التونسي المخلوع، ووصولاً إلى دعم انقلاب عبد الفتاح السيسي في مصر، مروراً بإفساد أطر المعارضة السورية بالمال، واختراقها بمستزلمين لا يمثلون إلا أنفسهم، الأمر الذي فعلته قطر أيضاً. فكان هناك في الائتلاف المعارض، طوال الوقت، جماعة السعودية مقابل جماعة قطر.

قطر هي أولى ضحايا سياسة ترامب الإسلامية، وقد يكون قطاع غزة ضحيتها الثانية.

سورية المستقبل
بين الكانتونات والمجالس المحلية

أحمد عيشة

ما نشاهده مؤخراً في سورية، عقب الاتفاق على مناطق خفض التصعيد، يشير إلى ترتيب مناطق نفوذ تخضع لمصالح الراعي أو الحامي. ويتأكد الأمر إذا تذكرنا التعابير التي وردت في صيغة الدستور الذي قدمته روسيا لكل من النظام والمعارضة، مثل جمعية الشعب وجمعية المدن، كصيغ جديدة من توزيع السلطات ونظام الحكم في سورية.

لهذه الصيغ جذور في مفهوم إدارة الكيانات الصغرى، وهو السوسيوقراطية، أي حكم المجتمع من خلال اللجان والمجالس المحلية بإشراف أجنبي، وعندها ينحصر الأمر باختيار ممثلك في أصغر وحدة بشرية، كصيغة بديلة عن الديمقراطية: حكم الشعب الذي يقرر مصيره عبر المشاركة الشعبية في رسم سياسة البلد ومحاسبة المسؤولين عن فشلها، بينما يتمثل مفهوم السوسيوقراطية في حكم مجالس ومجموعات منفصلة تحت الإشراف.

وقد يصلح هذا المفهوم لإدارة شركة أو منظمة مجتمع مدني أو غيرها من الهيئات، بما فيها نظم الإدارة المحلية، والتي تقتضي توزيع الصلاحيات في اتخاذ القرار بين دوائر هذه المنظمة أو الشركة التي تملكها أو تديرها جهة متحكمة في المجال العام، ودون الاهتمام بالمجال المحيط أبداً. وتتلاقى السوسيوقراطية مع تطلعات النخبة الموثوقة وذات الأهلية لممارسة الحكم في حق غالبيةٍ من غير المؤهلين لممارسة دورهم، بمعنى أنهم قاصرون عن الوصول إلى حالة النخبة أو الناس المتمكنين من ذلك!

يلاحظ المتابع للشأن السوري الذي تحول إلى قضية إقليمية ودولية، وما يطرح من مشاريع حلول في تلك الدوائر، رغم أنها لم تتضح بعد أو لم يتم الاتفاق عليها بشكل نهائي؛ أنها تشي بشيء من تحويل البلد إلى مجموعة من الكانتونات والأقاليم الصغيرة التي تشابه في وضعها الشركات الكبيرة التي تتبع بلداً ما، وبالتالي تحتاج إلى مجلس إدارة تحت وصاية البلد الراعي، مما يمهد للقول بأن السوسيوقراطية هي الشكل المناسب لإدارة هذه الشركة/القسم من الأراضي والثروات الواقعة فيها، من قبل أناس يتمتعون بشيء من الخبرة وكثير من العمالة.

وفي هذه الشركات هناك ضرورة للحديث عن الحوكمة بما هي طريقة للإدارة الناجحة، وللترشيد بمعنى السبل المثلى التي تضمن بقاء واستمرارية هذه الكانتونات، وبالتالي المردودية التي تحققها هذه الإدارات التابعة. وبالطبع لن ننسى ما يتمتع به «الرئيس التنفيذي» في هذه الشركات، الذي يشابه كثيراً دور الحاكم المستبد.

وربما كانت الغاية الأساسية من طرح مشاريع كهذه، عدا عن النزعة النخبوية والممهدة حتماً للاستبداد في صيغة السوسيوقراطية، هو انتزاع صفة السيادة عن البلد وتحويله إلى مجموعة شركات أو مقاطعات ذات حكم مستقل، قائمة على أساس عرقي أو مذهبي، وبالتالي تقسيمه من الناحية العملية. والأكثر أهمية انتزاع المطالب المحقة للشعب بحريته وكرامته، وهما الأمران الذي قدم من أجلهما قسراً أو طواعية مئات الألوف من البشر، ومثلهم أو أقل بقليل من المعتقلين الذين مات كثير منهم أثناء التعذيب، ومن لم يمت أصبح معاقاً أو تحول إلى التطرف أو هرب في المنافي تائهاً بين هموم الحياة وذكريات الاعتقال والموت.

الغاية واضحة جداً إذاً، ألا يبقى شعب، ولا بلد، ولا قضية، بل مكونات وكانتونات.

وما يجري في سورية، وخاصة في العام الأخير 2016 وحتى يومنا هذا، بعد أن أصبحت محط صراع إقليمي ودولي على تقاسم النفوذ عبر الأدوات، يشير إلى نية بعض الجماعات العرقية، أو الطائفية، التشارك مع أي جهة فاعلة من أجل تحقيق ما تطمح إليه تلك الجماعة، ناسفة الحدود بين السياسة العملية التي تعتمد مصالح البلد وسكانه نحو سياسة فئوية انتهازية محورها الانبطاح أمام الجميع، غير مدركة أن الذين يفترشون الأرض على بطونهم لا يمكنهم ولا يحق لهم المطالبة بحقوق الجماعات والشعوب.

وبالتالي فإن الرد الطبيعي، رغم كل الظروف القاهرة من انكسارات محلية واقتتال داخلي، هو الاجتماع حول غاية الثورة: سورية بلد واحد، وتحتاج إلى حكم يتميز بالمشاركة ويؤمّن الحقوق والحريات للجميع، وذلك بالاعتماد على الذات أولاً، وبالاستفادة من الصراع الدائر على أرضها لتحقيق ما يمكن من أهدافها وتطلعات الذين قضوا من أجل هذه الأهداف، والتكامل بين أدوار المجالس المحلية وصولاً إلى حكم الشعب، بدلاً من حكم الكانتونات.

عندما تتحد جهود إيران وإسرائيل وروسيا

عاينات وِلف*
مجلة The Globalist**
9 حزيران
ترجمة مأمون حلبي

لعقود قادمة، ستكون قصة الشرق الأوسط تعبيراً عن قوتين بأهداف متعارضة؛ معسكر يحارب من أجل هيمنة الإسلام السنّي، خصوصاً في العالم العربي، ومعسكر آخر يوحّد المسلمين غير السُنّة مع غير المسلمين، يريد أن يضمن عدم ظهور قوة سُنيّة مهيمنة. وفي هذا المشهد تشترك كل من إيران وإسرائيل وروسيا، بالرغم من المنافسة بينهم، في هدف واحد هو الحفاظ على التفرقة والتفكك السنّيين.

عالم مُدمَّر

يعيش العالم السُنّي عموماً، والعالم السُنّي العربي على وجه الخصوص، حالة من الدمار. غير أن الوهن الحالي يجب ألا يحجب حقيقة أن السُنّة أغلبية المسلمين، وأن العالم العربي سُنّي بشكل حصري تقريباً.

بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية بسبب تدخل القوتين البريطانية والفرنسية لم يكن للعرب السُنّة دور يذكر في تقرير شأنهم السياسي. وبما أنهم بدأوا الآن يخرجون من حالة سبات سياسي دامت قرناً فإن عالماً عربياً سُنيّاً متحداً يُشكّل إحدى أكبر الجوائز الجيوسياسية، لكن المتنازع عليها.

حدود لا معنى لها

بغض النظر عن معنى الحدود السابقة في الشرق الأوسط، فقد محتها العاصفة الرملية السياسية للربيع العربي، لكن قوة طبيعية مهيمنة لم تظهر حتى الآن. مع ذلك، كانت هذه المنطقة موحدة في الماضي ولديها الإمكانية لتتوحد من جديد. ولو ظهر مجتمع عربي سُنّي موحد، خصوصاً تحت راية التفسير الأكثر تطرفاً للإسلام، فقد يُشكّل تهديداً وجودياً للأقليات من غير السُنّة والعرب والمسلمين في الشرق الأوسط.

بريطانيا كقدوة تحتذى

تكرر سياسات الأقليات من غير السُنّة وغير المسلمين الوصف الشهير للسياسة الخارجية البريطانية تجاه أوروبا كما تم تصويرها في الكوميديا ذائعة الصيت «نعم أيها الوزير»: «لقد كان لبريطانيا طوال الـ500 عام الأخيرة على الأقل نفس الهدف في السياسة الخارجية: أوروبا مفككة. من أجل هذا قاتلنا مع الهولنديين ضد الإسبان، ومع الألمان ضد الفرنسيين، ومع الفرنسيين والطليان ضد الألمان، ومع الفرنسيين ضد الألمان والطليان». الدور البريطاني في ذلك السيناريو يؤديه الإيرانيون والإسرائيليون والروس في الشرق الأوسط. إنهم على استعداد لتشكيل تحالفات ضرورية للحفاظ على شرق أوسط مفكك، كائنة ما تكون هذه التحالفات.

الأهداف السُنية

من ناحيتهم، يحاول اللاعبون السنّة توطيد موقعهم كمنافسين ممكنين للهيمنة على العالم السنّي عموماً والعالم العربي السنّي خصوصاً. هناك سرديات كبرى تُطرح عادة لفهم الشرق الأوسط مثل «المعركة بين الإسلام السنّي والشيعي». سرديات كهذه بعيدة عن الصواب لأنها لا تلحظ التفاوت الكبير في السماحة والعدد بين الإسلاميين، بالإضافة إلى شبه استحالة أن يهيمن الإسلام الشيعي على شعوب وأراضي الإسلام السنّي. فالشيعة، الذين تُقدّر نسبتهم بين 10% و15%، هم الأقلية. وخارج إيران وأذربيجان ومناطق محددة في العراق يُمثّلون أقلية محاصرة، إيران حاميهم الوحيد.

انسجام البُعد النووي

من الأفضل أيضاً فهم سياسات إيران النووية على هذا الأساس. فإيران ليست متأثرة فقط بحيازة باكستان أسلحة نووية، وإنما هي أيضاً قوة أقليّة تحاول أن تدافع عن نفسها ضد تهديد قوة ما قائدة قد تظهر. وهي تمشي فوق خيط رفيع يفصل بين محاولة تحقيق قدرات نووية وبين أن تصبح بالفعل مالكة لأسلحة نووية. ويُمثّل هذا السير سياسة بارعة مرسومة بعناية ومُصمَّمة للردع من خلال القدرة على تطوير أسلحة نووية، وفي الوقت نفسه عدم السير إلى درجة تطوير أسلحة ستدفع خصومها إلى البحث أيضاً عن قدرات نووية كاملة ستقوم بدورها بتهديد إيران.

مصلحة العالم

سيتأثر العالم بنتيجة معركة الهيمنة في العالم السنّي عموماً والعربي خصوصاً، لأنها ستحدد إن كان الناس في أنحاء المعمورة سيكونون في مأمن من الهجمات على بلادهم أو إن كانت قوة جديدة ستظهر مهددة أوروبا وروسيا وأفريقيا وآسيا وما هو أبعد، وأي نوع من الإسلام سيشكل حياة ثلث سكان العالم.

لسوء الحظ، هناك القليل مما يستطيع العالم غير الإسلامي فعله في تشكيل النتيجة. في أحسن الأحوال، قد تكون القوى الخارجية قادرة على التخفيف من أسوأ النتائج المحتملة لمعركة الهيمنة في الشرق الأوسط، وحتى هذا الأمر مشكوك فيه. على المراقبين الخارجيين أن يدركوا أن ما يحدث في العالم العربي السنّي حقيقي أصيل، للمرة الأولى منذ قرن، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنه إيجابي. وفي المحصلة، سيكون على السنّة عموماً، والعرب السنّة خصوصاً، أن ينجزوا نظامهم الإقليمي بأنفسهم. ومهما كان شكل هذا النظام فلا بد من أن يوصف بعبارات مستمدّة من التاريخ الإسلامي السنّي العربي. فالإسلام دين سياسي لديه تصورات واضحة للنظام العالمي المناسب وللطريقة التي يجب أن تُنظّم وتُحكم بها القضايا الخاصة والعامة. وكائنة ما كانت القوة المهيمنة، فستكون متجذّرة في الإسلام بوصفه اللغة الثقافية للمنطقة. فكرة الخلافة لن تختفي. إنها ببساطة الشكل الإسلامي التاريخي للوحدة العربية ولوحدة المسلمين. حتى وإن هُزم التنظيم الحالي المعروف باسم الدولة الإسلامية، فإن فكرة هذه الدولة ستستمر في القوة والنفوذ بوصفها المبدأ الناظم للعالم العربي السنّي وعالم المسلمين.

---

*عضو سابق في الكنيست الإسرائيلي، دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة كامبردج.

**مقالة مقتطفة من دراسة نشرها معهد السياسات الإستراتيجية الأسترالي.

سَجِّل
طفلك ... لضمان حقه بالتعلم

سَجِّل

صفحة **سجل** على فيس بوك

facebook.com/SajjelSYR

مديرية الشؤون المدنية بحلب

للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة أقرب أمانة سجل مدني
أو الاتصال على الرقم 0969831305 WhatsApp

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

ayn-almadina.com
info@ayn-almadina.com

@AynAlmadina
/3aynAlmadina

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

SNP

سَجِّل

سَجِّل
طفلك ... لضمان حقه بالتعلم

للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة أقرب أمانة سجل مدني
أو الاتصال على الرقم 0969831305 WhatsApp

مديرية الشؤون المدنية بحلب

صفحة **سجل** على فيس بوك
facebook.com/SajjelSYR

سَجِّل

سَجِّل
طفلك ... لضمان حقه بالتعلم

للمزيد من المعلومات يرجى مراجعة أقرب أمانة سجل مدني
أو الاتصال على الرقم 0969831305 WhatsApp

مديرية الشؤون المدنية بحلب

صفحة **سجل** على فيس بوك
facebook.com/SajjelSYR